المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن بعد المائة

١ مايو سنة ١٩٤٦ ‏ ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٣٦٥

آراء حديثة

في نشوء الحضارات

مضى زمن بعيد منذ أن أقلع الأَحيائيُّون عن الأخذ بفكرة التَّوَلُّد الذَّاتيْ (١) وهم إذ يعتقدون أن بعض الأحياء لا بد من أن تكون قد تطوَّرت فنشأ بتطورها أنواع جديدة ، تجدهم بجانب هذا على يقين من أن العضويات الحية جميعاً تشترك في وحدة الأصل . وقد يدلك على شدة استمساكهم بهذه الحقيقة أنهم اذا عجزوا في بعض الظروف عن اثبات هذه الوحده سَلَّمُوها وفرضوها ، حتى لقد تجد أن آراءهم كلها قائمة على أن كل حي إنما يتصل في النهاية بغيره من الأحياء .

ومنذ سنين بدى في عالم الفكر رأي جَديد يقول بأن العقل الانساني ، بانتباهٍ أو بغير انتباه ، قصداً أو اعتباطاً ، إنما يعمل على نمط يخالف هذا النمط ، بمعنى أنه قادر على أن يُنشِّئَ الثقافة جملة من طريق الاستِجابة الذاتِيَّة لمؤثرات البيئة ، بدل ان يتقدم نحو المدنية بخطًى ثقيلة متتالية ، متنقلاً في منازل التثقيف ، درجة بعد درجة ، وحالاً بعد حال ، حتى لقد قيل بأن الحضارات العظمى انما هي مُحَصَّلة استجمع أسبابها نشوء انفرادي .

---

(١) Spontaneous generation ومؤداه أن الحي يتولد من غير الحي ، والرأي العلمي الثابت الآن أن الحي لا يتولد الا من حي مثله .

فقد نَتَكَلّمُ مثلاً عن حضارة المكسيك أو الصين أو الهند ، ونعني غالباً شيئاً خاصاً بكل منها وإنه بكليته متأصّل فيها .

ولسوف نرى أن تَوَلُّدَ الثقافة تَوَلُّداً ذاتيّاً مذهب باطل مضلل ، وبالرغم من أن نشوء الثقافات نشوءًا ذاتيًا أمرٌ يتعذر أن يكون قد وقع في بقاع مختلفة من كرة الأرض ، فان كل ما لدينا من العلم بنشوء الثقافات وانتشارها ، يؤيد أن أكثر الجماعات الانسانية التي جاوزت من الثقافة طور الاستجماع (١) ومارست ضرباً ما من ضروب الفن أو الصناعة ، إنما تدين بثقافتها تلك الى جماعة أخرى ورثت عنها وأخذت منها . وهذا يدل ، كما يدل في حالات الحياة المنظمة عامة ، على أن كل جماعة لم تتجاوز من الثقافة حد الاستجماع (٢) ، إنما تتصل في النهاية بكل جماعة غيرها من الجماعات الانسانية . ذلك بأنها تملك قسطاً من المدنية التي كدَّ الانسان في استحداث أسبابها على مرّ الدهور . ولا نعني بهذا ان أعضاء أية جمعية من الجمعيات ممنوع عليهم أن يخترعوا شيئاً جديداً ! كلاَّ . بل نعني أن المرجحات التي تنفي القول بأن جمعيتين قد استطاعت كل منهما بمفردها أن تنشىء ثقافة من مظاهرها عمل الخزف والنسيج والزراعة مثلاً ، إنما هي مرجحات فيها من القوة ما يحملنا على الاعتقاد بأن نشوء حضارة كل منهما مستقلة عن الأخرى ، أمرٌ لم يحدث فعلاً .

ولقد قام الآن في روع الاجتماعيين ، نفس الأثر الذي قام في روع الاحيائيين من قبل فمضوا يأخذون شيئاً بعد شيء بفكرة الاتصال والاستمرار ، ويبنون عليها استنتاجاتهم حتى عند ما يبدو عجزهم عن اثبات ذلك قطعاً أو احتمالاً . فكل جمعية ، وفقاً لهذا الرأي ما عدا جمعية واحدة بالطبع (٣) ، تدين بثقافتها الى جمعية أخرى . وعلى هذا نجد اذا ما تتبعنا

---

(١) Food-gathering culture للثقافة عند القائلين بهذا الرأي حدان : الاول حد استجماع الطعام ثم يليه حد انتاج الطعام . وفيما سيأتي من البحث بيان شامل عن الفروق التي تفصل بين الحدين .

(٢) سنجري بعد الآن على استعمال عبارتي الجماعات المستجمعة والجماعات المنتجة : لتدل الاولى على الجماعات التي تجمع الطعام Food-gathering ولتدل الثانية على الجمعات التي تنتج الطعام Food-producing فاذا قرأت ذلك فاعلم أن المعنى منصب على جمع الطعام وانتاجه . وكذلك سنجري على استعمال عبارة « طور الاستجماع » لتقابل عبارة Food-gathering stage ، وعبارة « طور الانتاج » لتقابل عبارة Food-producing stage

(٣) هي بالضرورة الجمعية الاولى التي أنشأت أصول المدنية .

الأمر واستقصيناه ، خيوطاً ، تمتد من مختلف بقاع الأرض وتنتهي عند مركز واحد ، هو بالضرورة النبع الذي فاض بأصول الحضارة . ولا شك في أن الإكباب على درس الحقائق درساً واسعاً ، ووزنها بحكمة ، إنما يؤدي بنا حتماً الى هذه النتيجة . والرأي الآن على أن المدنية شيء قائم بذاته وأن له نمطه الخاص في التطور والنشوء .

ليست المدنية بشيء من خلائقه الثبات وعدم التغيير ، بل انها في الأكثر عرضة لفورات دورية . ومن أخطر الأشياء التي يقف الباحث الاجتماعي نفسه على درسها وتقصيها ، معرفة الأسباب التي تسوق الى تلك الفورات . فكثيراً ما حدث في الماضي أن جماعات عظيمة قد انتابها الانحلال والتدهور . ولكثرة ما حدث ذلك ثبت في روع بعض الباحثين أن هنالك سنة ثابتة للنشوء والانحلال يخضع لها كل كائن اجتماعي . أما الرأي السائد الآن فينابذ ذلك في حين أن النزعة الحربية اذا درست علميًّا كما يدرس كل نظام اجتماعي آخر ، فانه يتضح لنا أن الانسان قد تلقى على مدى العصور علماً خاصًّا ازدادت مع تبحره فيه نزعته الى العنف ، وان الجماعات الانسانية في نشأتها الأولى كانت جماعات مسالمة محبة للهدوء والطمأنينة ، وان فن الحرب انما نشأ وترعرع اتفاقاً ، فكان بمثابة نماء خبيث علق بجسم كان بريئاً منه ، أو بمثابة نبات طفيلي شبَّ وربى حتى لقد بلغ من النماء حدًّا ينذر بفناء الجسم الأصيل الذي علق به . أما اذا استطاعت هذه البحوث الحديثة أن تُعَدِّل العقلية العامة وتردها الى الصواب تلقاء هذه الحقيقة ، فان العلم يكون قد عوض على الانسان بمقدار ما قد أخلَّ وضيَّع بتشجيعه على إقامة الحروب .

***

يقطن الأرض الآن جماعات بلغ كل منها طوراً من الثقافة يختلف عن الطور الذي بلغه غيرها . ففي أحد الطرفين جماعات منظمة بلغت من النشوء حدًّا استحدثت فيه كل أسباب الحضارة ، وحازت وسائل استطاعت بها أن تحكم في الزمان فتجعل الساعة الواحدة بمثابة جيل في زمن مضى ، وان تحتكم في المكان فترده بالسرعة كأنه فناء ودثور ، ناهيك بما تتضمن حياتها الفردية والاجتماعية من التعقد والاشتباك . وفي الطرف الآخر جماعات لم تتقدم تقدماً يذكر في الفن أو الصناعة ، فلا تزال هائمة في مناكب الأرض باحثة عن مواد

الغذاء ، وتأخذه من حيث يتفق لها أن تقع عليها ، وقد تجد جماعات من هذا الطراز في أطراف من الأرض لم تغزها المدنية ، كحراج الهند الجنوبية ومجاهل أمريكا وجنوب إفريقية ، وغير ذلك من البقاع . وفيما بين هذين الطرفين تقع على عدد عظيم من الجماعات تتدرَّج ثقافتها تدرجاً يقرّبها من أحد الطرفين . ومن أجل أن نحاول تفهم طبيعة المدنية ، ينبغي لنا أن لا نهمل النظر في جمعية من هذه الجمعيات ، وان لا نخرج بعضها من حسابنا .

ذلك بأن المشكل الأساسي الذي يصادف كل باحث في أسباب نشوء المدنية ينحصر في الفحص عن حقيقتين جوهريتين ، فانه من الجلي أنه في عصر من العصور عريق في القدم كانت الأرض مأهولة بجماعات قنعت بالاستجماع (جمع الطعام) فوقفت ثقافتها عند هذا الحد ، ولم تنزع الى زراعة ما تقتات به أو تعمل على ايلاف حيوانات تغتذي بلحومها أو تحتلبها لتنتفع بألبانها . فعلى الباحث أن يعرف كيف ولماذا استطاع الانسان ، بعد أن ظل في الدرجة الاستجماعية عصوراً قد ترتد الى آلاف السنين ، أن يستكشف كيف يزرع نباتات وان يربي حيوانات للتغذي بها ، فانتقل بذلك من الحالة الاستجماعية الى الحالة الانتاجية ، وقفز من درجة ثقافية الى أخرى تعلوها وتبزها تقدماً وارتقاء . هذه هي الحقيقة الأولى التي ينبغي للباحث الاجتماعي أن يفحص عن أسبابها . أما الحقيقة الثانية : فان يعلل لماذا عجزت بعض الجمعيات البشرية عن أن تخطو هذه الخطوة ؟ ففي كل الأطوار التي قطعها الانسان نحو التمدن تقع على هذه الجماعات الاستجماعية وكأنها الظهير الذي استندت اليه الحضارة في مأساتها الطويلة . وانك لتجد ان هذه الجماعات فضلاً عن ذلك تقوم مقام الأساس الذي بنى عليه الانسان كل ما أبدع من صور الفن والصناعة وانها كانت العماد الذي يرجع اليه كل أصل من أصول النظام الحضارى . لهذا كان من الضروري أن يفقه الباحث لماذا عجزت بعض الجماعات عن ان تخطو الى ما وراء المظهر الاستجماعي من الثقافة ، ولماذا دلفت جماعات أخر فتخطت ذلك الطور ، ومضت تضرب في الطور الانتاجي .

ومن الطبيعي أن تسأل : ما هي العلاقة أو الرابطة التي تربط الجماعات الاستجماعية العائشة اليوم بمثيلاتها من الجماعات التي أهلت بها الأرض قبل ظهور الجماعات الانتاجية ؟ أنَتَوقَّعُ أن تُلْقي ثقافة هذه الجماعات البدائية ضوءاً يظهرنا على الأسلوب الذي تكوَّنت

به الخطوات الأولى التي وجهت الانسان نحو الحضارة ؟ فان مثل هذه الموازنة انما تقوم على أساس من الفنون والصناعات المادية . ذلك بأننا لا نعرف شيئاً ما عن المجالي الأخرى التي تجلت فيها حياة الأقوام الأولى التي قطنت أوربا مثلاً ، إلاّ توَهُّماً . فاذا أردنا ان نوازن بين الجماعات الاستجاعية التي ما تزال تأهل بها الأرض ، بتلك التي بادت وفنت منذ أزمان ، فاننا لا نجد لدينا شيئاً يذكر من الشواهد التي قد نتخذها أساساً للموازنة . وانه لمما يثير العجب أن الجماعات الاستجاعية التي خلفت لنا بقايا يمكن أن نتوسل بها الى درس التطورات التي انتابت ثقافتهم ، هي وحدها الجماعات التي قطنت حفافي البحر المتوسط منذ عدة آلاف مضين من السنين . أما الجماعات الاستجاعية في غير ذلك من بقاع الأرض ، ما عدا بعض شواذ قليلة ، فلم تترك أي أثر يدل على طرف مّا من مدنيتها .

ولسنا نعلم كم من السنين ظلت الجماعات الاستجاعية في آسيا وغيرها من القارات مقيمة في مآهلها الحالية . غير أن لدينا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد انها تمثل عمليًّا أقدم الأقوام التي قطنت البلاد التي تقيم فيها الآن .

***

ولا بأس بأن نورد هنا قائمة بأهم الأقوام الاستجاعية العائشة اليوم ففي أفريقية : الزنوج والبُوشمن .

وفي آسيا : الفَدَّا في سرنديب . بعض القبائل التي يتقدم عهدها على العصر الدَرافيني في جنوب الهند . السّيمنجُ والسَّاكاي في شبه جزيرة المَلايُو . أهل أَنْدَامان . كُوبُو في سومطرة . البُوتَان في بُورْنِيو . قبائل جزر أُرُو . زنوج جزائر الفِلِبين .

وفي أُوشْيَانيا : الاستراليون والطَّسْمانيُّون .

وفي أمريكا : الإسكيمو . الدانا في حوض نهر مكنزى . البُوثُوك في نيوفوندلاند (بائدة) ، البَايُوث في يُوتَاه . القبائل الكاليفورنية . قبائل جزيرة أرض النار .

على ان بعض القبائل السيبيرية كالسَّامُويد ، والأوستياك . وهي قبائل تعيش

بايلاف الغزال الأحمر ، تقرب كثيراً من هذه القبائل من حيث الثقافة والمدنية ، وإنه من الممكن بقليل من التساهل أن تعد منها .

وبعض هذه الأقوام ضعاف طبيعيًّا وتكوينيًّا . فالزنوج في أفريقية والسِّيمَنْج في شبه جزيرة الملايو والأَنْدَمان ، وزنوج الفلبين ، جميعاً من السلالة الفَزَمِيَّة السوداء التي قطنت البقاع التي تأهل بها الآن . اما أهل أوستراليا الأصلاء فهم مثلٌ على سلالة أكثر من ذلك بدائية . لهذا نقول إن نموذجاً بدائيًّا من نماذج نوع الانسان العاقل Homo sapiens بلغت بدائيته حدًّا يفيدنا في بحوثنا هذه ، ما يزال يغشى الأرض وتأهل به بقاع منها .

وهؤلاء الأقوام ، ما عدا استثناء واحد أو استثناءين ، ليس لهم أي أثر في تنمية الفنون أو الصناعات . على انهم في بعض الحالات قد تأثروا ببعض جيرانهم من القبائل الاستجماعية . غير أننا اذا استخلصنا هذه المؤثرات الخارجية وعزلناها عن حياة هذه القبائل ، فان النتيجة المحتومة التي نصل اليها من وزن الحقائق التي تتبقى لدينا ، هي أن هؤلاء الأقوام قد وقف نماؤهم الثقافي عدداً غير معروف من آلاف السنين . ولكن على شواطىء البحر المتوسط وما يجاوره من البقاع ، نقع على أقوام من الاستجماعيين ضربوا في مجالي التطور الثقافي . وهذه حقيقة من أهم الحقائق في البحث عن نشأة الحضارة . لأن كل الاستنتاجات العملية تحملنا على اليقين بأنه في بقعة من هذه البقاع — المحيطة بالبحر المتوسط — بدأت المدنية تفرخ بذُورها اليانعة . وهذه الحقيقة فضلاً عن ذلك تركز البحث في بؤرة واحدة . ومن هنا ، نجد اننا اذا فكرنا في نشوء المدنية وتطورها من بدايتها الأولى ، فلا ينبغي لنا أن نوجه أفكارنا إلاَّ الى بقعة بعينها من بقاع الأرض ، وأنه ليس علينا أن ندور بأفكارنا باحثين عن الحقائق التي يقوم عليها البحث في بقاع متناثرة هنا وهنالك.

من الحقائق التي يقوم عليها البحث ، حقيقة انه ليس من الأقوام الاستجماعية العائشة اليوم أقوام يرتبطون بالماضي السحيق . غير أن لهذه القاعدة استثناءين : هما أقوام البوشمن في أفريقية ، والاسكيمو في شمال امريكا وغرينلاند على تباعد مآهلهما . فقد أكَّد الأستاذ « سلاّس » في كتابه « القُنَّاص الأقدمون وممثلوهم الحاليون » أن في ثقافة هذه القبائل عناصر تتفق وثقافة قطّان أوربا الأواين . واذا استثنينا هذه الأقوام فاننا نعجز عن أن نجد

مخلفات تدل على نماء ثقافي يعادل النماء الذي وصلت اليه القبائل الاستجماعية في حوض البحر المتوسط فيما قبل التاريخ .

وإنه من الممكن أن ندرس أوجه النشاط التي تجلت فيها أعمال الجماعات الاستجماعية في أوربا . ذلك بأنهم مهروا في صناعة الأحجار وبالأخص في الظـرّان والشرت فهذبوها واتخذوا منها أدوات مختلفة . ومن درس الطبقات الأرضية المتباينة التي نعثر فيها على هذه المخلفات ومن بقايا الحيوانات التي نقع على عظامها مع هذه المصنوعات ، نستطيع أن نعرف كيف كانت تعيش هذه الجماعات . والدلائل المادية تدلنا على انها عاشت في أوربا ، وبخاصة في فرنسا واسبانيا وألمانيا والنمسا ، وفي شمال أفريقية ، وبخاصة في مصر وبلاد العرب وسوريا وفينيقية ، وأنه في بعض أطوار نمائها وصلت صناعاتهم الى جنوب أفريقيا وأسيا .

اسماعيل مظهر

نظام الامومة — Matriarchal System

also = Matriarchalise. m; Matriarchy. (L. mater = mother); in the Encycl. Dict. Supp. (L. Mater. = mother and Gr. arché = rule).

(١) حكومة الام أو الامهات .

(٢) وضع فيه تحكم الامهات الاسرة أو القبيلة وتكون سلسلة النسب راجعة فيه الى الام لا الى الاب .

(٣) نظام اجتماعي ألفته بعض القبائل البدائية ، تتقدم الام فيه على الاب ، من حيث انتساب الاعقاب والوراثة .

الحرمُ الكَنسي — Excommunication

(ا) منع شخص من مباشرة الحقوق والعلاقات الدينية .

وقد استعمل حق الحرم فى كثير من العصور عند الافارقة والرومان واليهود . وبين بعض الشيع الاسلامية . وكثيراً ما كان يترتب عليه نتائج ذات خطر .

(ب) كان الحرم فى الكنيسة النصرانية الاولى ينفذ في كل شخص بغيض أو غير مرغوب فيه ، منعاً شكلياً من التبعية للكنيسة . وعلى هذا ظلت الكنيسة البروتستانتية الحديثة .

فلما قويت الكنيسة وتمت غلبتها ، أصبح الحرم عملا كثير التعقيد قاسي النتائج . فهو في الكنيسة الكاثوليكية الكبرى ومايتبعها من الكنائس إما جزئي وإماكلي ، مؤقت أو دائم .

فالحرم الجزئي أو المؤقت يسلب الشخص حق التمتع بتلقي الاسرار المقدسة (Sacraments) وربما تعدى ذلك الى منعه من التمتع بحقوق العبادة الكنسية .

أما الحرم الكلي أو الدائم فمن شأنه أن يبت علاقة الشخص بالجماعة التي هو منها ، ويحرمه التبعية للكنيسة .

(ج) الحرم الجزئي أو المؤقت (Minor or Lesser Excommunication)

(د) الحرم الكلي أو الدائم (Major or Greater Excommunication)

الصيدلة (١)

عند قدماء المصريين

إن لفظ (الكيميا) مشتق من أداة التعريف (ال) وهي عربية ولفظ (كيميا) وهو اسم مصر القديم ومعناه الأرض السوداء . فاسم كيميا اذا عرّب أصبح (علم مصر) وهو في ذاته شهادة بمكانة مصر الفرعونية من هذه الوجهة العلمية . ويكتب هذا الاسم بالهيروغليفية بهيئة كومة من الفحم النباتي . ولما كان استعمال النار هو أساس الكيميا وابتكار الوقود دعامة الصناعات الكيماوية كان اسم مصر (كمي) برهاناً قويّاً على أن وطننا هو مبتكر النار ومكتشف الوقود . ولا يخفى ان الانسان في مبدئه كان يجهل النار الاّ اذا رآها عرضاً عن طريق الطبيعة كالصواعق وغيرها كما كان يجهل تماماً طريقة إحداث النار عند الطلب وإبقائها مشتعلة المدة اللازمة أو بعبارة أخرى إخضاع النار لمشيئته .

ونسب علم الصيدلة الى المعبود (تحوت) مبتكر العلوم . وهذا المعبود يقابله (هرمس) عند اليونان ، لذلك سمي علم الصيدلة بعدئذٍ العلم الهرمسي (Hermetic art) . وكان لهرمس خاتم تختم به زجاجات العقاقير . والى هذا الخاتم يرجع التعبير الكيماوي المعروف بعبارة (مختوم بالخاتم الهرمسي) أو (Hermetically sealed) .

وعلم الصيدلة متصل اتصالاً وثيقاً بالطب ، تقدم بتقدمه ، وانحطّ بانحطاطه ، لذا يجدر بنا أن نذكر طرفاً من تاريخ الطب من هذه الناحية فاذكر لحضراتكم أن قدماء المصريين اعتادوا الاعتناء بصحتهم . فذكر (هير ودوت) ان المصريين مارسوا علم الطب بمهارة فائقة . وكان لا يسمح لأحدهم أن يمارس فرعاً ويختص فيه . بل كان الواجب دراسة الطب كله أولاً في مدة معينة ، ثم الاختصاص في بعض فروعه . لذلك قال المؤرخ المذكور إن أطباء المصريين كان بعضهم كحالين وبعضهم اخصائيين في أمراض النساء ، والبعض الآخر في أمراض الأسنان أو

---

(١) ملخص محاضرة حضرة صاحب العزة الدكتور حسن بك كمال مدير قسم رعاية الطفل بوزارة الصحة ألقيت في جمعية الصيدلة المصرية

الأمراض الباطنية — وهكذا . وكانوا يتعاطون المرتبات من مالية الحكومة . وخوفاً من استعمال الأطباء لبعض العقاقير على قبيل الاختبار في المرضى وضعت الحكومة قانوناً حازماً يعاقب كل من يسيء استعمال هذه العقاقير . وكل انسان يموت ضحية هذه التجارب يعتبر موته جناية تستحق العقاب . أما اذا وصف الطبيب دواءه حسب الأصول الطبية المقررة ولم ينجح سوّغ له الاتيان بما يراه نافعاً من التجارب لشفاء المريض . وكان يراعي الطبيب في علاجه ما كان يستعمله السلف وتثبت فائدته .

ومع أن الاطباء كانوا يتناولون مرتباتهم من الحكومة ، فكان يسمح لهم بأخذ أجورهم من المرضى، إلاّ إذا وُجد الطبيب ببلاد أجنبية ، فيجب عليه في هذه الحالة أن لا يتناول أجراً من أي مريض كان .

وذكر (هيرودوت) في كتابه (ص ١١ — ٧٧) أن أهالي القطر المصري كانت لهم شهرة ذائعة لاعتدال صحتهم واهتمامهم بها . فكانوا يتعاطون علاجاً خاصّاً مدة ثلاثة أيام في كل شهر ظنّاً منهم أن الامراض ناشئة عن ضعف القوة الهضمية وكانوا يهتمون بضبط أوقات الغذاء وتعاطي المسهلات .

ووصف هوميرس في كتابه المسمى Odessey (ص ٢٢٩) الأدوية الكثيرة التي أعطتها Polydemnia زوجة Thones الى Helen أثناء وجوده بالقطر المصري فقال « ان مصر بلدة خصبة تخرج أرضها عقاقير كثيرة لا تحصى . منها النافع ومنها الضار . وبها أطباء يمتازون عن غيرهم بمعارفهم الواسعة .

ونسب المصريون الطب وتدوينه الى (امحوتب) وقالوا انه أول واضع له ولعلم الصيدلة واليه يرجع الفضل الأول في علاج الأمراض بالوصفات العديدة الناجعة . وعاش امحوتب هذا في عهد الملك (زوسر) (حوالي ٢٩٥٠ ق . م) واشتهر وزيره الأكبر بالطب والصيدلة والمهارة والذكاء حتى خلد اسمه في تاريخ مصر القديم . فذكره الكتّاب في كتبهم بأنه رجل عظيم ذو معرفة وخبرة .

واعتقد القوم ان بعض الأدوية لا تصلح إلاّ اذا حُضّرت ليلاً وفي ضوء القمر أو في فصل مخصوص من السنة كالصيف مثلاً . وذكروا أن بعض الأدوية يؤثر في الصيف

تأثيره في الشتاء . وان أمهر الأطباء عندهم من عرف تأثير السحر والدواء وميّز بينهما من حيث الفائدة والعلاج . والآن أذكر أهم المراجع الفرعونية الخاصة بالصيدلة وعلاقتها بالطب :

(١) قرطاس (ايبرس) هو أضخم هذه الكتب عثر عليه بمقبرة بالأقصر مع قرطاس (ادوين سميث) عام ١٨٦٢ م اشتراه الأثري الألماني (ايبرس) . وهو الآن محفوظ بمتحف (ليبزج) بألمانيا وفي حالة جيدة جدًّا . وعلى ظهر هذا القرطاس دونت تواريخ هامة ساعدتنا كثيراً على معرفة عدة أزمنة مجهولة . والمعروف أن هذا القرطاس دوّن حوالي سنة ١٥٠٠ ق . م لكن لغته واعتبارات أخرى فيه تدل على انه منسوخ من كتب أخرى أقدم منه بقرون عديدة . خذ مثلاً ما ورد في إحدى عباراته من أنها مأخوذة من وصفة في الأسرة الأولى (٣٤٠٠ ق . م) وفي أخرى أنها من زمن إحدى ملكات الأسرة السادسة (٢٦٢٥ و ٢٤٧٥ ق . م) ويحوي هذا القرطاس وصفات عديدة لأمراض متباينة وكل وصفة مكوّنة من عدّة جواهر ، أمام كل جوهر مقداره اللازم وآخر كل وصفة طريقة تعاطي الدواء . ولا يسع الباحث في هذا القرطاس إلاّ أن يستنتج انه مجموعة كتب صغيرة بعضها طبي والبعض الآخر روحاني . وكتابة القرطاس في شكل أعمدة أشبه بجرائدنا اليومية ويبلغ عددها المائة والعشرة عاموداً وعدد وصفاته ٨٧٧ وصفة .

(٢) قرطاس هيرست Hurst اكتشف عام ١٨٠٩ بدير البلاحي بالصعيد . وفي سنة ١٩٠١ اشتراه الدكتور ريزنر Reisner الأثري وأهداه الى جامعة كاليفورنيا بأمريكا . وقد اعترى أوائل هذا الكتاب التلف . أما الباقي ففي حالة جيدة . وهو يحوي ١٥ عموداً في النصوص الطبية . ويرجع تاريخه الى حوالي ١٥٠٠ ق م . وفيه شبه لقرطاس (ايبرس السابق) حتى ان بعض عباراته تكاد تكون مطابقة لبعض عبارات بقرطاس (ايبرس) ويبلغ عدد وصفاته ٢٦٠ وصفة .

(٣) قرطاس (برلين) الطبي ، أحدث عهداً من القرطاسين السابقين . لكنه يحوي عبارات قديمة العهد . وعباراته مكتوبة بإهمال ومحشوّة بأخطاء وتحوي ٢٤٠ وصفة بما في ذلك العبارة المذكورة على ظهره الخاصة بمعرفة العقم ونوع الجنين في الرحم . وكان العثور عليه في القرن التاسع عشر بوساطة (بسالاكا) في مقبرة بسقارة يرجع تاريخها الى عهد

رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق . م) .

(٤) قرطاس كاهون الطبي ، اكتشفه (سير فلند رذ پتري) سنة ١٨٨٩ أثناء القيام بالحفر في جهة الفيوم . وهو أقدم من القراطيس المذكورة قبلاً . يرجع تاريخه الى عهد الأسرة الثانية عشر (٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق م) وهو ممزّق ، إلاّ أن نصوصه واضحة وهي خاصة بفن الولادة وأمراض النساء ويحوي ٣٤ وصفة .

(٥) قرطاس (لندن) الطبي ، أغلبه روحاني يرجع الى زمن الأسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠ — ١٢٠٠ ق . م) ولو ان عباراته أقدم بكثير من ذلك وهو محفوظ في دار تحف لندن تحت رقم ١٠٠٥٩

(٦) و (٧) قرطاسا داري تحف (ليدن) و (تورين) هما قرطاسان قديمان روحانيان يحويان قليلاً من الوصفات الطبية .

(٨) قرطاس (أدوين سمث) عثر عليه بمقبرة بالأقصر عام ١٨٦٢ وهناك اشتراه المستر (أدوين سمث) وقد اعتراه بعض التلف وفقدت بعض نصوصه . لكنه اهتدى اليها بعد ذلك واشتراها على دفعتين . ثم توفى وانتقل القرطاس بعد ذلك الى ابنته (لينورا سمث) التي أهدته الى الجمعية التاريخية (بنيويورك) ويبلغ طوله ٤٫٦٨ متراً . انما يظن انه كان يبلغ حوالي خمسة أمتار . ويتراوح عرضه بين ٣٢٫٥ سم و ٣٣ ، وهو يقرب من عرض القراطيس القديمة التي يرجع تاريخها الى ما بين المملكة الوسطى (٢١٠٠ — ١٧٠٠ ق.م) ، عهد الامبراطورية (١٥٥٥ — ٧١٢ ق . م) وفي هذا القرطاس ١٢ لوحة متعاقبة وتحوي ٢٢ عموداً من النصوص المصرية القديمة منها ١٧ رأسية و ١٥ أفقية . ويظن أن هذه النصوص المصرية القديمة كتبها عدة أشخاص لاختلاف واضح في الخط .

وبمقارنة الخطوط المصرية القديمة التي بهذا القرطاس بالخطوط المستعملة أيام ملوك الرعاة لوحظ أن بينها مشابهة كبيرة . وعليه فلا يبعد أن تاريخ هذا القرطاس يرجع الى القرن السابع عشر قبل الميلاد . ويلاحظ أيضاً أن كاتب هذا القرطاس كان يجيد الخط لكنه لم يكن طبيباً . وانه ترك بعض الأحرف بدون ذكرها . وراجع كتابته وصححها بالمداد الأحمر فوق الأسود وبالمداد الأسود فوق الأحمر . وتشتمل السبعة عشر عموداً الرأسية على شرح

٨٤ حالة مرضية . وهذه الحالات تبدأ بالرأس وتنتهي بالقدمين وهي موصوفة وصفاً دقيقاً .

الى هنا انتهى ملخص الكتب الطبية في مراجع الصيدلة المصرية القديمة . بقي علينا أن نذكر ان كل معبد كانت تلحق به حديقة خاصة للنباتات الطبية يستعملها الأطباء من الكهنة لأن الطب والدين كانا متصلين وقتئذٍ اتصالاً وثيقاً . ويمكننا أن نستدل على مدى تقدم علم الصيدلة في تلك العصور بالرجوع الى طريقة تحضير العقاقير وخلافها .

والمعروف انه كان يلحق بكل معبد معمل خاص أشبه بمعاملنا الكيمائية تجهز فيه الروائح والعطور اللازمة للطقوس الدينية وأيضاً العقاقير الخاصة بصيدلة المعبد والكتب الطبية المذكورة حافة بالتذاكر العلاجية . كما ان جدران المعابد كثيراً ما نقشت عليها الوصفات الطبية . ويحوي معمل المعبد جميع الأدوات اللازمة لتحضير العقاقير . نشاهد فيها طريقة سحق العقاقير في (الهاون) بواسطة شخص تارةً وبواسطة شخصين تارةً أخرى ثم تصفية هذه المساحيق بما يشبه المنخل .

وكانت الاسكندرية في عهد البطالمة تحوي مكتبة فيها كتب قيمة في الصيدلة . ذكر زوسيموس (ص ١٨) — الذي عاش حوالي ٣٠٠ بعد الميلاد — ان هذه المكتبة المسماة Serapion كانت تحوي آلافاً من كتب الصيدلة. والمعروف ان معبدي ادفو وجزيرة فيلة كانا يحويان مكتبتين قيمتين أيضاً .

ومنذ عهد الأسرة الثالثة (٢٩٨٠ — ٢٩٠٠ ق . م .) كانت المكاتب تسمى « دور الكتب » وكانت تحوي قراطيس بردية تبحث في الطب والجراحة والصيدلة وغيرها .

ولاشتمال الطب المصري القديم على كثير من المكاتبات المختلفة تحتم على الصيدلي المصري معرفة علم النبات وخواصه ليدرجه في الدواء اللازم . خذ مثلاً ما ورد بالوصفة رقم ٢٨٤ بقرطاس ايبرس تعريبه ان النبات (سنوت) يمتد على بطنه مثل القثاء وله زهر كاللوطس وأوراقه تشبه الخشب الأبيض . وذكروا أيضاً منافع النبات في أحوال مخصوصة . مثال ذلك : ما ورد بقرطاس (ايبرس) في الوصفة رقم ٢٥١ عن شجرة الخروع . وتعريبه : منافع شجر الخروع حسبما ورد في الكتب القديمة تأليف خيار الناس . اذا دهكت أصولها في الماء ووضعت على الرأس المتألم شفي حالاً . واذا خلط قليلاً من بزرها مع البيرة أسهل الانسان من فضلاته

وأدرىء المرض في جسمه . وينفع بزرها لنمو شعر المرأة وذلك بسحقه مع زيت أرضي تدهن به المرأة رأسها . ويستخرج من بذره زيت ليدهن به الذي به صديد وعفونة كريهة فيزيله من الأعضاء كأنه لم يكن . واستعملوا للاطفال العلاج المناسب لهم في النوع والمقدار . مثال ذلك : ما ورد بقرطاس ايبرس تحت وصفة ٢٧٢ لاصلاح البول عند الطفل والبالغ : « تخلط شواشي الغاب على البيرة (وهي كما نعلم الطريقة المبدئية لاستخراج الصبغة الطبية للنبات (tincture) ثم يضاف اليها مقدار من الماء ويعطى للرجل أو المرأة لشربه . ويعطى للطفل مقدار هن Hin واحد (وهو يعادل نصف لتر تقريباً) . ورد في قرطاس (ايبرس) تحت رقم ٢٧٣ ما تعريبه : علاج البول الصديدي عند الطفل — مادة يقال لها (خنت) تسحق وتعمل حبوباً ويعطى للطفل ان كان مفطوماً . اما اذا كان في القماط (أي رضيعاً) فيخلط بلبن المرضعة ويعطى له مدة أربعة أيام .

وكان الاطباء يصفون الجرح والدهانات والمراهم والحبوب والقطرات والابخ والبخور والحقن الشرجية الخ . وكانوا يستحضرون منقوع النبات ومغلياته اما في النبيذ أو الجعة العذبة أو المياه المعدنية . وذكروا الوصفات الكثيرة لتجميل الجسم وإطالة شعور السيدات وتحسين بشرة الوجه وتجديد الجلد وتزكية رائحة الفم وازالة الرائحة الكريهة بين الأصابع صيفاً وغير ذلك .

العقاقير الطبية — ان البحث في هذا الموضوع ليس بالسهل . ولا نزال نجهل (مضمون) مدلول معظم أسماء العقاقير . نعم ان هناك مئات من الجواهر ذات الأصل الحيواني والنباتي والمعدني مذكورة ضمن الوصفات لكننا لا نزال نجهل معظم هذه الحيوانات ، وكل ما يمكننا معرفته هو الجزء الخاص من الحيوان مثل شحمه أو لحمه أو دمه . اما الحيوانات المعروفة التي استعملت أجزاؤها في التطبيب فهي الثور والماعز والغزال والوعل والخنزير وفرس البحر والأسد والفأر والوطواط والاوز والضفدع والسلحفاة وأنواع السمك وغير ذلك . أما النباتات التي كانت تدخل ضمن الوصفات فلا نزال نجهل أغلبها . وكان القوم يستعملون كل النباتات أو ورقه أو بذره أو فاكهته أو عصيره أو جذوره أو راتينجه . وقد كان استعمال الأجزاء الحيوانية معتبراً في القرن التاسع عشر مثال الجهل . أما الآن فنعلم ان كثيراً من

الأمراض ناجم عن قصور في وظيفة غدد الجسم يعالج بتعاطي ما يقابله من غدد الحيوان . فمرض المكسيديما الناجم عن فشل الغدة الدرقية يعالج بتعاطي هذه الغدة في حيوان كالثور والأنيميا الخبيثة التي هي نتيجة قصور في وظيفة الكبد تعالج الآن بتعاطي هذا العضو نيئاً. وظهر أيضاً أن تعاطي المعدة كافٍ لشفاء هذا الداء . وهناك أمراض أخرى ناجمة من قلة الفيتامين كالكساح والبلاجرا تعالج بتعاطي الفيتامين المضاد الذي يوجد في كبد السمك والخمير (الحبوب واللحوم) . كل هذا أيها السادة يجعلنا نتساءل عما اذا كان أجدادنا عالمين بخواص هذه الأعضاء الحيوانية وأنواع النباتات حتى أكثروا من وصفها لأمراضهم كما نصفها نحن الآن . وما أوردناه عن صعوبة معرفة مدلول أسماء الحيوانات والنباتات ينطبق على الجواهر المعدنية العديدة المذكورة ضمن الوصفات الطبية .

والسائل الذي كانت تتعاطى فيه العقاقير بهيئة مزيج هو عادة الماء أو اللبن أو الشهد أو النبيذ أو البيرة. أما الدهان والمروخ فأغلب وصفاتهما تحوي الشهد أو الصمغ أو الراتينج أو شحم الحيوان . وكانوا يتعاطون العقاقير جافة بشكل مسحوق وأحياناً ينقعونها أو يغلونها أو بين بين . وكثيراً ما وصف القوم الحبوب والأقراص المستحلبة والاقماع ، ثم يذكرون في آخر كل وصفة طريقة الاستعمال كما تفعل الآن تماماً. فكانوا يقولون مثلاً : يؤخذ هذا الدواء ليلاً ونهاراً ، قبل الغذاء أو بعده . وأمام كل جوهر مقداره اللازم مما يشير الى عنايتهم بعلم الأقرباذين .

والى قدماء المصريين يرجع الفضل في ابتكار عدة عقاقير لا نزال نستعملها للآن ، منها النشادر . وكانوا يستخرجونه بسحق وغلي أو حرق قرون الحيوان أو حوافره أو عظامه ، وذلك بشكل بخور أو علاج موضعي . وهذه الطرق المبدئية في استخراج النشادر واستعماله هي الأصل في بقاء هذا الدواء في الطب اليوناني والسوري والعربي والأوربي في القرون الوسطى . وكان يطلق عليه في القرون الوسطى اسم (Hartshorn) ومعناه قرن الطبي . ومحلول النشادر المائي لا يزال يعرف في وقتنا هذا بالاسم Spirits of Hartshorn-Liq. ammoniac

ومن أهم العقاقير النباتية قشر الرمان . وهذا النبات قديم العهد في مصر . وكثيراً ما عثر على فاكهته بالمقابر الفرعونية . ووردت بقرطاس (ايبرس) وصفته لطرد الديدان في الامعاء تتلخص في سحق قشر الرمان ومزج ذلك بالماء ثم تعاطيه (ايبرس لوحة ١٥ سطر ١٨). واستمرت هذه الوصفة عدة قرون في بلاد متنوعة كأشور واليونان والعرب . وهناك وصفات مصرية قديمة تحوي الشبت (Dill) والكزبرة (Coriander) والكمون (Cumin) والكراوية (Caraway) والحلبة (Funigreck). وكان الأثريون يقولون باستعمال اليبروح أو

المندراجورا (Podophyllum) في الطب الفرعوني لكن ذلك لم يثبت للآن . نعم أنه عثر على فاكهة هذا النبات بمقبرة (توت عنخ آمون) لكن ذلك كان بقصد الزينة فقط . وكان المصريون يتعاطون بزور الخروع للامساك والضعف العام والصداع . وأهم العقاقير المعدنية التي استعملها المصريون في الطب هي السلقون والشبة وملح الطعام وكاربونات الصودا .

وهناك قرطاس بردي قبطي يقال له قرطاس المشليخ (٨٠٠ — ٩٠٠ب.م) يحوي حوالي ٢٣٧ وصفة منها الوصفة الآتية — لالتهاب الأذن الحاد — أفيوق ، دهن عجل ، لبن ، أمزجها معاً ثم دفيء المزيج وضعه في الأذن فان الألم يسكن حالاً لكن حذار أن تصف هذا الدواء قبل أن تأخذ أجرك . وأن السر في ذلك راجع إلى الأفيون المسكن للألم وإن زوال هذا الألم وراحة المريض قد يقنعانه في عدم الحاجة إلى الطبيب فيبخل عليه بأتعابه . وهكذا بدأنا نشعر بالغبن الذي كان يقع على زملائنا الأقدمين إذا ما صادف علاجهم نتيجة ناجعة .

واستعمل القطران في التحنيط في العصر اليوناني والروماني . وكان يؤتى به من البحر الميت. وحدث بعد ذلك أن زاد اعتقاد القوم في فائدة القطران في حفظ الجثث فعلت منزلته من الوجهة الدينية . ثم نسى القوم الفائدة الأولى للقطران ونسبوا مفعوله الى الموميات نفسها بصرف النظر عن القطران . ولا يخفى أن القطران مطهر للجهاز التنفسي . ولا يزال يعطى في الالتهابات الشعبية والرئوية والأنفية كما تعالج به عدة أمراض جلدية وغيرها فحصل في القرون الوسطى في اوربا حتى القرن الثاني عشر ان كانت الموميات المصرية تصدر الى أوربا كعقاقير تصحن وتباع في الصيدليات وقتئذٍ . ثم تراءى للقوم أنه اذا كانت فائدة جثث المصريين عظيمة بهذا الشكل فلم لا يستفاد بجثث المجرمين والمنتحرين بأوربا للغرض نفسه وفي ذلك اقتصاد وفي ذلك سهولة . وقد كان ذلك فأطلق القوم اسم (مومياء) بعد ذلك على اللحوم المستعملة دواء . وهكذا استمر هذا النوع من التجارة حتى القرن الثاني عشر . وكانت عبارة (مومياء) من مواد أقربازين تلك العصور .

واتضح لنا أن جانباً كبيراً من معلومات ديوسقوريدس (٥٠ ب. م.) وجالينوس (١٣٠ — ٢٠٠ ق .م) وبلينوس (٢٣ــ٧٩ ق.م.) وغيرهم مأخوذة بطريقة مباشرة من القراطيس المصرية القديمة . وان هذه المعلومات لقنت بواسطة هؤلاء الفطاحل الى أطباء القرون الوسطى فصارت أهم أركان الطب العشبي (Herbalist) وتعاليم الطب القيمة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وقد استمرّ علم الصيدلة المصرية محافظاً على جوهره بعد دخول المسيحية مصر . وفي العهد اليوناني أخذت الصيدلة الأغريقية تمتزج تدريجيًّا بالصيدلة الفرعونية .

الدكتور حسن كمال

الى الشعراء

ننقل هنا قطعة عن شكسبير مجد بها بريطانيا فرفعها الى السماء وجعلها قلعة الأرض . وأخرى عن شاعر لبناني من البرازيل هو « نعمه قازان » مَجَّد بها أرض لبنان فرفعها إلى السماء ، ولكن لم يلفها في عظمة الأرض كما لفَّ شكسبير جزيرته . وأنت إذ تقرأ القطعتين ، تلمس القداسة تفيض من روح الشاعرين ، والتقديس يضفي على الأرض التي خاطبها كل منهم . أما روح الفخر فمن شكسبير ، وأما روح العاطفة فمن قازان . فهل من شاعر مصري ينسج لنا عن مصر « منبت المدنية العالمية » قطعة تسري في روعنا سريان ما قال شكسبير في روع أبناء وطنه ، وسريان ما قال قازان في روع أبناء الأرز . قال شكسبير .

This royal throne of Kings, this sceptered isle,
This earth of majesty, this seat of Mars,
This other Eden, demi-paradise,
This fortress built by Nature for herself
Against infection and the hand of war,
This happy breed of men, this little world,
This precious stone set in the silver sea,
Which serves it in the office of a wall
Or as a moat defensiive to a house,
Against the envy of less happier lands,
This blessed plot, this earth, this realm, this England (1)

* * *

وقال نعمه قازان :

لم يرض بالدنيا وير ضى من ترابك بالكفن
ما السر في هذا الترا ب فلا يُريد به ثمن ؟
فكأنما الدنيا السما وكأنَّ « لبنانا » عدَن
لا تسألوا من أنت بل من أين أنت ، أجيب من
لُبنان ، من حد السَّما ، من جنة الدنيا عَدَن (٢)

---

(1) King Richard II, Act II, Scene I.

(٢) من قصيدة « جبل النسور » .

السيكومتري

Psychometry

تقصي الأثر في لوحة الفضاء والزمن

ليس المقصود بالسيكومتري هنا ما يعنيه السيكولوجيون من قياس مدة الحالات أو العمليات العقلية وشدتها ، ولكن المراد بها هو تقصي أثر شخص بطريق سلعة من سلعه ، وذلك بأن توضع السلعة في يد الوسيط المتقصي أو على جبهته أو مقابل ضفيرته الشمسية . فاذا كان وسيطاً قديراً استطاع أن يدلي ببيان يتضمن تاريخ تلك السلعة وتاريخ صاحبها وما يتعلق به ، وقد يذكر شيئاً من مستقبله . وقد يتحدث الوسيط كذلك عن كل من لمس السلعة دون أن يخلط بين شخص وآخر ممن يكونون قد تناولوها بأيديهم .

ولم يعترف العلم بظاهرة السيكومتري هذه الا في سنة ١٩٤٠ حين تقدم الدكتور هتنجر Dr. Hettinger إلى جامعة لندن برسالته «القوة فوق المدركة The Ultra Perceptive Faculty» لنيل درجة دكتور في الفلسفة Ph. D. فمنحته اياها وطبعت رسالته على نفقتها . ونجد في هذه الرسالة بحثاً مستفيضاً وتحليلاً دقيقاً لهذه الظاهرة . وقد روعي الأسلوب العلمي في هذا البحث إلى أبعد مدى . وقد وضحت الرسالة بجداول احصائية وخطوط بيانية ومعادلات جبرية خرج منها المؤلف بأن الظاهرة حقيقية في ذاتها ، وان كان قد ترك التعليل لها معلقاً .

التجريب العلمي

وقد تناول الدكتور هتنجر تاريخ التجريب في هذه الظاهرة فقال : —

(١) إن معظم التجارب التي أجريت في الماضي كانت عرضية وصل البحّاث منها بطريق الاستنتاج والاستقراء الى القول بأن لهذه القوة السيكومترية وجوداً حقيقيّاً . وانتهى هؤلاء البحّاث إلى أنه ما دام قد ظهر أن عدداً كبيراً من التجارب التي أجروها ينم عن حقيقة

وأن وسائل الادراك العادية لا يمكن أن تعلل للظاهرة ، فلا بدَّ إذاً من وجود قوة أخرى خارجية هي التي يصح أن تنسب اليها هذه الظاهرة . ويرى الدكتور هتنجر أن المشاهدات التي من هذا الطراز لا يمكن اعتبارها متضمنة برهاناً علميًّا .

(٢) أجريت تجارب بقصد تعيين كم من المواد أو البنود التي يدركها الوسطاء يكون صحيحاً ، ودوّنت النتائج على صيغة نسب مئوية من مجموع المواد التي أدلوا بها — الصحيح منها وغير الصحيح . ومع ذلك فلم تعتبر هذه النسب المئوية مهما كانت مرتفعة دليلاً على القدرة السيكومترية .

(٣) لاحظ بعض البحّاث أن السلع المقدمة للفحص تختلف كثيراً من حيث الأهمية والنوع . وقد اختلفت من ثمَّ تقديراتهم ، ولكنهم بنوا احصائياتهم على هذا الأساس . ولطريقة « التقدير » تلك عيوبها التي تقعد بها عن تقديم البرهان الحاسم المطلوب .

وذكر الدكتور هتنجر أسماء المؤلفات المتضمنة تجارب تدخل في نطاق هذه الأقسام الثلاثة سالفة الذكر ، وقد صدرت هذه المؤلفات في المدة ما بين سنة ١٨٤٢ وسنة ١٩٣١ ، وهي ما بين انجليزية وأمريكية وفرنسية وايطالية وألمانية .

(٤) وعاد الدكتور هتنجر فقال : إن بعض الحالات السيكومترية المدوّنة في هذه المؤلفات تتضمن أحداثاً خطيرة يصح اعتبارها شاذة من حيث قيمتها . ومع ذلك لم يشأ أن يعتبرها برهاناً على وجود هذه القوة .

(٥) يقول الدكتور هتنجر إنه على الرغم من أن ارتفاع النسب المئوية للصحيح من هذه التجارب التي تضمنت ادراك أمور غريبة أو معرفة شاذة لحقائق واقعية — على الرغم من أن هذا يميل بالباحث الى ناحية الاقتناع ، فان كثيرين من البحاث يرون أن هذا غير كاف. وهم لعجزهم عن فهم كيف أن الوسيط يدرك أمثال هذه الأمور ينسبون ذلك للمصادفة . والمصادفة أمر جائز في الواقع ولكن تجارب الدكتور هتنجر قد روعي فيها سد هذه الثغرة ومن ثمَّ أمكن استبعاد المصادفة .

(٦) راعى الدكتور هتنجر هذه العوامل كلها ، ومضى يجرب بطرائق متعددة متباينة تفرعت كل واحدة منها من التي سبقتها ، أي أن التجربة اللاحقة كانت تطوراً لتجربة سابقة

وذلك بالتغلب على جميع المآخذ أو أوجه النقص التي لوحظت في سابقتها ، فأمكن الوصول في النهاية إلى تجارب تخطت بقدر الإمكان كل نقد .

وظلت التجارب احصائية على طول الخط برغم تغير الأسلوب بالتدريج ، وبذل مجهود لجعل الاحصائيات بسيطة بقدر الامكان وبحيث يمكن استخلاص النتائج منها على الفور ونذكر فيما يلي النقط الهامة التي راعاها الدكتور هتنجر خلال تجاريبه : —

ا — أي السلع هي الأفضل للحصول على خير النتائج ؟

ب — هل السماح للوسيط بتناول السلعة نفسها بدلاً من مظروف مختوم يحتوي عليها يؤدي الى نتائج أحسن أم أسوأ ؟

ج — هل من الضروري أن يتناول الوسيط السلعة بيده ، وهل يمكن الحصول على نتائج بدون تناول أي شيء البتة ؟

د — هل معلومات المجرب الشخصية عن الأشخاص الذين تُستقصى آثارهم من سلعهم تعطي نتائج أحسن من تلك التي يحصل عليها من سلع أشخاص مجهولين منه تماماً أم لا ؟ ويلاحظ أن المجرب غير الوسيط .

هـ — إذا سلمت سلعة لمجرب بقصد تقصي أخبار صاحبها فأبقاها عنده عدَّة أيام قبل أن يسلمها للوسيط فهل الأنباء المستقاة بوساطتها تقتصر على صاحب السلعة نفسه دون المجرب أم تكون خليطاً بين ما يتعلق بهذا وما يتعلق بذاك ؟

و — هل الأشخاص الذين تتقصى آثارهم يتباينون فيما بينهم من حيث الوسطاء الذين يقومون بعملية التقصي من هذه السلع ؟

ذلك كان الدستور الذي وضعه الدكتور هتنجر لتجاربه التي شرحها في كتابه « القوة فوق المدركة » سالف الذكر . وقد ختم كتابه بهذه الكلمة . قال :

« إن الرأي المبسوط في هذا الكتاب قد لا يفي بإشباع نهم المتطلع ، ولكن كاتب هذه السطور لا يجرؤ في الوقت الحاضر على المضي إلى أبعد من ذلك . وان لصوقه بالحقائق يمنعه من الاجتراء على تقديم أي نوع من الحدس الذي ربما يكون قد جال بخاطره خلال هذا البحث . وهو يرى أن لابدَّ من اللصوق بالحقائق لأن مجرد الحدس لا يمكن أن يشبع

التطلع العلمي إشباعاً تاماً . ويدل تاريخ العلوم المطردة التقدم على أن النظريات الحدسية تجيء وتذهب ، ولكن الوقائع تبقى . لهذا يجب أن نلصق بالحقائق الواقعية هذه كلما ثبتت واحدة منها بعد أخرى ، ولنستخدم هذه الحقائق استخداماً انشائياً للعثور على غيرها .

« إن التناول السيكولوجي للبحث الروحي قد أدَّى الى بعض نتائج هامة ، فلنمض في سبيلنا على نفس النمط واثقين انه سيتلو ذلك ظهور كشوف أخرى قيمة . ولقد كانت البداية مبشرة ، ويبدو أنه لن يمر زمن طويل ، إذا نحن بحثنا في الظواهر الروحية ذات الصبغة الذهنية ، حتى يتوطد البحث الروحي تماماً كفرع خاص من السيكولوجيا أو كعلم شقيق لها »

هذا هو ما ختم به الدكتور هتنجر كتابه ، ومنه يتضح أن الظاهرة حقيقية ولكنه لا يستطيع التعليل لها . وقد كانت السيكولوجيا تنكر هذه الظاهرة كما كانت تنكر ظواهر التلبثي والجلاء البصري والجلاء السمعي ، وهي تلك الظواهر التي اعترف بها العلم أخيراً كما اعترف كذلك بالسيكومتري . والظاهر أن عجز الدكتور هتنجر أو احجامه عن التعليل راجع إلى تقييده نفسه في بحثه بالعلوم المادية وفي مقدمتها السيكولوجيا بشكلها الحاضر ، اي السيكولوجيا المادية التي تنكر الروح . ويا عجباً لعلم النفس الذي ينكر وجود النفس !

أمثلة سيكومترية

ننتقل بعد هذا الى ذكر أمثلة توضيحية تقرِّب الظاهرة الى الأذهان فنقول :—

(١) يروي العلامة أوسبورن Osborn في كتابه النفيس « ما فوق الفيزيقي The Superphysical » حادثة عن وسيط اعتاد هو أن يجري معه بنفسه تجارب سيكومترية . ففي ذات مرَّة وضع في يد ذلك الوسيط خطاباً ولم يمكنه من رؤية ما فوق المظروف من كتابة ، فقال له الوسيط : « يشعرني هذا الخطاب بعهد الشباب . . . ومع ذلك فان الكاتب له امرأة ذات شعر أبيض . وأراها تسير ليلاً في حجرة . وها هي ذي تجلس مغرقة نفسها في تفكير عميق . هي سيدة بشوش ... هي أحياناً تفيض حناناً يستدر الدمع من العيون ... وهناك أيضاً رجل متقدِّم في السن ، ذو شارب أبيض ولحية بيضاء لطيفة . ويخيَّل إليَّ أنهم ينادونه يا ذكتور . ولكنه على ما أرى من أهل الفنون . . . أرى أنه قد كتب للمجلات مقالات كثيرة في الأدب والنقد وما إلى ذلك . فهو يكتب كثيراً وأعتقد أنه

يحاضر كثيراً كذلك . وهو متوسط الحجم ، لا ضخم الجثة ولا ضئيلها . وليس لجسمه مظهر خاص ، أما رأسه وعيناه وملامحه العامة فذات مظاهر خاصة . إنه يتعصب لرأيه ، ويفرط في حبه لوطنه حتى لقد يبذل حياته في سبيل بلاده » .

وعقب أوسبورن على ذلك بقوله « والخطاب كتبته لي وأنا في استراليا صديقة في انجلترا . وقد صدق الوسيط في وصفه ملامحها ، فشعرها أبيض ، ولكنها رقيقة وفيها جمال الشباب . وصدق كذلك في وصفه ملامح الرجل ، وكان دقيقاً للغاية في وصفه سجاياه . والرجل والسيدة من أهل الفن والأدب حقيقةً . وهو كاتب مفكر مبتكر في تفكيره وابتكاره . على أني لم أتبين فيه أية نزعة من نزعات التعصب ولكنه من أصل روسي ولهذا فربما كان مزاجه أحدّ من المزاج الانجلوسكسوني » .

ويقول أوسبورن عن هذا المثل السيكومتري انه قد يكون خطيراً ولكنه غير مقنع لعدم امكان استبعاد التلبثي منه . ويقول ان الوسيط ربما يكون قد استخلص منه هذه المعلومات لا من الخطاب ، وهو لا ينكر أن ذلك في ذاته عظيم ولكنه لا يساعد على إثبات ما يريد . على أنه قال مع هذا « أرى لزاماً عليَّ أن أذكر هنا أنني لم أنجح قط في التواصل مع هذا الوسيط بالتلبثي على الرغم من محاولتي ذلك في عدّة ظروف » .

(٢) وفي الحادثة التالية التي يرويها ماترلنك يمكن أن يقال ان فكرة التلبثي قد استبعدت تماماً ، أو هي استبعدت على الأقل بين راوي الخبر والوسيط المتقصي الأثر . قال ماترلنك في كتابه « الضيف المجهول » ما يأتي : —

« تسلمت من انجلترا خطاباً يرجو ني فيه كاتبه أن أكتب له كلمة بخطي ... وكان الخطاب رقيقاً خالياً من الصنعة وليس فيه ما يفصح عن كاتبه . ودون معرفة البلد الذي جاءني منه الخطاب وضعته في مظروفه بعد أن أريته لزوجتي ، ثم حملته الى مدام . . . وبدأت هذه السيدة تقصيها بأن وصفتني أنا وزوجتي ، فقد لمسنا نحن الاثنين الورق . وسألناها أن تتركنا وتنتقل الى كاتب الخطاب . فقالت ان الكاتب فتاة في الخامسة أو السادسة عشر لم تتعدَّ بعد طور الطفولة . وقد كانت صحتها بين بين ، أما الآن فهي في صحة جيدة جداً . وكتبت الفتاة الخطاب وهي في حديقة غناء أمام بيت كبير فخم مبني وسط تلال الريف .

وجلست تداعب كلباً كبيراً مجعّد الشعر طويل الأذنين . ومن بين غصون الأشجار كان يظهر لها البحر ... هذا هو ما قالته الوسيطة . وقد وجدنا بعد التحري أن هذه التفصيلات كلها حقيقية تماماً . ولم يكن الخطأ إلاَّ في الزمن كما هي العادة ، فالفتاة وكلبها لم يكونا في الحديقة في اللحظة التي رأتهما فيها الوسيطة » .

ففي هذه الحادثة لا نستطيع أن ننسب استقاء المعلومات الى قراءة الوسيطة بالتلبثي ما يكون دائراً في خلد ماترلنك وزوجته لأنهما لم يكونا قد عرفا بعد شيئاً عن كاتب الخطاب. فهل نستطيع إذاً أن نقول ان الخطاب نفسه يحمل بطريقة غامضة طابعاً لمميزات كاتبه ووسطه ؟ وإذا كان هذا صحيحاً فهل يكون المنظر والحالة قد انطبعا كذلك في الخطاب وقت كتابته ، ويكون الخطاب قد نقل ذلك كله الى الوسيطة فتحدَّثت عنه ؟ ان ماترلنك روى الحادثة فقط ولم يحاول تفسيراً .

(٣) أما الحادثة التالية فيتبين منها أن الوسيط حصل من خطاب على آراء كاتبه وأفكاره ومشاعره وعواطفه ساعة كتابته . وهذه الحادثة إحدى تجارب الدكتور باجنستشر Dr. Pagnstcher في السيكومتري على الوسيطة الشهيرة السنيورا ماريا رييس دي ز Senora Maria Reyes də Z وهي سيدة مكسيكية لها مكانتها في المجتمع . وقد دوّنت هذه الحادثة في صحيفة جمعية البحوث الروحية البريطانية بالصفحتين ٢١٨ — ٢١٩ من المجلد الحادي والعشرين كما يلي : —

« للدكتور باجنستشر صديق في اليابان أرسل الى محامٍ في مدينة المكسيك مظروفاً يحتوي على خطاب منه للدكتور باجنستشر ومظروفين مختومين يحتوي أحدهما على ورقة كتبت في ظرف حرج ، ويحتوي الثاني على وصف لمن ظنَّ انه كاتب هذه الورقة . وقد طلب كاتب الخطاب الى الدكتور باجنستشر أن يقدم المظروف الأول الى السنيورا ماريا على أن لا يسمح بفتح المظروفين إلاَّ بعد انتهاء الجلسة . وأجيب الكاتب الى ما طلب . وحضر تلك الجلسة كل من الدكتور باجنستشر والدكتور برنس . وتحدَّثت السنيورا عن سفينة وسط بحر في ليل بهيم ، وعن ركابها الكثيرين الفزعين الذين يتحدَّثون بالانجليزية وقد تمنطقوا بأحزمة الخطر . ثم جعلت تصف في شيء من التفصيل رجلاً له فوق حاجبه الأيسر

ندبة جرح ، ينزع ورقة من مذكرة جيب صغيرة ثم يكتب عليها ، وما إن سمع صوت انفجار حتى وضع الورقة في زجاجة ثم رمى بها في البحر . ولما أزيلت الأختام في حضور الدكتور پرنس والدكتور باجنستشر عرفت الحقائق الآتية ، وكانت حتى ذلك الوقت مجهولة من الحاضرين كلهم : —

« فأما المظروف المقدَّم للسنيورا فكان يحتوي على ورقة كأنها نزعت من مذكرة جيب . وقد كتب عليها بسرعة وبلغة اسبانية ما ترجمته :

« السفينة تغرق . وداعاً يا عزيزتي لويزا . احملي على أن لا ينساني أولادي .

زوجك رامون

« هافانا — أسأل الله كذلك أن يرعاني ويرعاك . وداعاً » .

« وقد وجدت هذه الكتابة على ورقة في زجاجة التقطت بجوار شاطىء الآزور . ومن التحريات التي أجريت في هافانا علم أن هذا الرجل الذي لأسباب سياسية أقام هناك باسم رامون ب . Ramon B. قد اختفى سنة ١٩١٦ ، ويشبه خطه كل الشبه الخط المكتوب في تلك الورقة التي وجدت في الزجاجة ، وأن له زوجة تدعى لويزا ، وأن له منها بنين . ويظن انه غادر هافانا الى أوروبا . واعتقدت زوجته أنه لقي حتفه في حادث غرق الباخرة لوزيتانيا أما شكله بما في ذلك ندبة الجرح فينطبق بالضبط على الوصف الذي ذكرته السنيورا »

(٤) ويروي الدكتور ولز Dr. Wills عميد كلية العلوم والبحوث الروحية بالولايات المتحدة في كتابه « الحياة الآن وإلى الأبد » قصة خلاصتها أن شخصاً قصد الوسيطة الأمريكية الشهيرة مسز مدلتون هجنز Mrs. Middleton Higgins يسألها أن تحدِّثه بشيء عن أنباء أخيه المتغيب . ولما سألته أن يجيئها بسلعة من سلعه جاءها بقبعته . وما إن أمسكت بها حتى مضت تصفه في دقة متناهية ، ثم قالت انه كان يسير ليلاً بجوار النهر فزلت قدمه وهوى فيه وغرق . وقالت ان التيار قد جرفه وان جثته قد احتجزت بين صخرتين ، وأبدت استعدادها لتعيين مكان الجثة إذا هي ذهبت الى النهر . ولما عجز البحَّاث عن العثور على الجثة برغم اتباعهم كل وسيلة ممكنة عادوا اليها فصحبتهم الى النهر ، وهناك وقفت عند نقطة قائلة إن الجثة هنا . فاستعملوا شباك الصيد ولكنهم لم يفوزوا بطائل . فسألتهم أن يجيئوا

بسارية طويلة ويتحسسوا بها ما بين الصخور ، وسرعان ما لمست السارية شيئاً طرياً أملس ، واكتشفت الجثة على الفور ، وقد وجد الرأس محجوزاً فعلاً بين صخرين فرست الجثة هناك . ويلاحظ أن الوسيطة لم تكن لها معرفة سابقة بأي شخص من الذين شهدوا الحادث أو كانت لهم صلة بالغريق .

ثلاثة فروض نظرية

يتضح من هذه الأمثلة أن السلعة المادية كانت العامل الأكبر في التقصي ، وأنه بدونها ما كان يمكن الانتفاع بقدرة الوسيط المتقصي . فبماذا يمكن تفسير هذه الظاهرة ؟ لقد قدم البحّاث ثلاثة فروض وناقشوها كما يلي : —

(١) إن السبب في حصول الوسيط على المعلومات من السلعة مع خلوّها من كل ميزة خفية هو أن حواس الوسيط أرهف من حواس غيره ، أو أنها تكون في الحالة التي يسميها السيكولوجيون حالة « زيادة الحس » .

(٢) أن تكون السلع قد استبقت فيها طابع الحوادث كما تستبقي اللوحة الفوتوغرافية صور المرئيات .

(٣) إن السلع ليست مصدر هذه الرؤى برغم تأثرها بالطاقات النفسية أو القوى الروحية ولكنها تعمل على جعل الوسيط يستجيب للاشخاص الذين لمسوا السلعة ولما جرى من أحداث .

فأما عن الفرض الأول فلا شك أن بعضهم يفسر به بعض الحالات فراراً من التفسير الروحي ، وخاصة في حالات الوسطاء المنوّمين تنويماً مغناطيسيًّا . ولكن في الحالات التي نحن بصددها يكون الوسطاء غير منوّمين . وقد يستطيع الوسيط اللبق بعد فحصه خط الكاتب أن يستنتج بعض المعلومات الغريبة المدهشة بغير طريق ذلك الحس المرهف اللهمّ إلا إذا اعتبرنا الفراسة المكتسبة من تجاريب الحياة حسًّا مرهفاً . وبرغم أن « زيادة الحس » المزعومة هذه مجرد مصطلح سيكولوجي مائع فإن السيكولوجيين عافاهم الله يزجون به كثيراً وإلى أقصى حد كتفسير لمثل هذه الأحداث . ولكن الفاحص للحالات السيكومترية

المتعددة المتباينة يستطيع أن يقنع نفسه بأن هذا الفرض النظري البحت (على أقل تقدير) لا يمكن تطبيقه على غالبية الحوادث . ولا جرم أن كمية الأنباء التي تستطيع سلعة أن تفصح عنها لا بد أن تكون محدودة مهما كان هذا الشخص مرهف الحواس . وعدا هذا فمسألة « زيادة الحس » هذه إذا صلحت أن تكون تفسيراً لمعرفة السجايا من مجرد قراءة الخط مثلاً فهي لا تساعد على أن تفسر كيف أن الوسيط يصل الى معرفة ما يكون قد وقع لكاتب خطاب مثلاً من حوادث بعيدة أو قريبة ، وربما يكون بعضها قد وقع قبل كتابة الخطاب بل حتى قبل التفكير في كتابته . ولو أننا سلمنا بصحة هذا الرأي تفسيراً لبعض الحالات فإن اطلاقه على حالات كثيرة أخرى لا يكون عقيماً فحسب بل يكون مضحكاً أيضاً .

وأما الفرض الثاني فمن السذاجة بمكان ، ولا يؤيده منطق الأمر الواقع ، لأنه اذا كانت الأحداث تنطبع في السلعة انطباعاً فوتوغرافيًّا استطاع الوسيط أن يتقصى الأحداث التي تكون السلعة قد لعبت فيها دوراً . ولكن الحال ليس كذلك دائماً ، فالمثل الرابع سالف الذكر المنقول من كتاب الدكتور ولز هامّ لسببين : أولهما انه يستبعد التفسير بالتلبثي استبعاداً تامًّا . وثانيهما : أنه يقضي كذلك على الرأي القائل بأن السلع تتأثر بطابع فوتوغرافي لأن القبعة التي سلمت لمسز مدلتون أخذت بالطبع من سلع الغريق الموجودة بالمنزل لا مع الجثة

واذاً لا يبقى أمامنا إلاّ الفرض الثالث لأنه أكثر الفروض احتمالاً . فالسلعة كانت الصلة الظاهرية . والمعلومات لم تجيء من السلعة بل من صاحبها مباشرةً ، لأن الوقائع حدثت للشخص صاحب السلعة التي كانت حلقة اتصال بين صاحبها وبين الوسيط ، وهي التي مكنته من الاستجابة له والتوافق معه . وها هي ذي مسز مدلتون قد استطاعت أن تعرف حوادث تتصل بالرجل المفقود عن طريق قبعة لم تشترك في الحوادث .

هل تستبقي السلع طوابع روحية ؟

وحتى لو أخذنا بالفرض الثالث فإنه تبقى لدينا مسألة أخرى هامة هي مسألة صلاحية الأجسام المادية لأن تكون حلقة اتصال بين شخصين . ترى ما الذي يحدث في السلعة المادية نتيجة لملامسة إنسان اياها ؟ هل يتأثر تكوينها الالكتروني ؟ لو أن هذا حدث لتوقعنا

ظهوره على صورة تغير كيماوي لأن الألكترونات والبروتونات هي في الجملة العناصر النهائية في الجزيئات والذرات الكيماوية ، وإن يكن العلم قد أثبت وجود جسيمات أخرى غير الالكترونات والبروتونات . ولكن هذه الجسيمات لا تحتل من فضاء الذرة إلاّ بنسبة ما تحتله بضع هباءات من التراب في جوّ قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة فؤاد الأول مثلاً . وكما يقول العلامة إدنجتون أستاذ الفلك في جامعة كمبردج في كتابه « طبيعة العالم الفيزيقي » « لو أننا محونا الفضاء الخلاء الموجود في جسم الانسان ، وجمعنا إلكتروناته وبروتوناته لزازاً في كومة واحدة فإن الانسان يختزل إلى هباءة لا ترى إلاّ بعدسة مكبرة » .

وهذا الفضاء بدوره أصبح لا يعتبر خلاءً خاوياً لأن الأثير يتخلل الفضاء والمادة معاً فهل يا ترى يتأثر ذلك الأثير الموجود في سلعة ما بالمؤثرات النفسية الروحية ؟ ولكن الأثير لا يمكن تحديده برغم أنه مكننا من تفسير بعض الظواهر ، وليس ثمة في الأثير ما يدفعنا إلى القول بأن أثير السلعة يستطيع أن يستبقي الطوابع الروحية . وإذاً فأين يمكن أن تستبقى هذه الطوابع إن كانت تستبقى حقيقةً ؟ ليس أمامنا كما يقول العلاّمة أوسبورن إلاّ ذلك الفضاء الألكتروني الذي ربما كان مقرّاً لأنواع من الطاقة لم تعرف بعد حتى ولم تتخيل ، وأن لأنواع هذه الطاقة اهتزازاتها الخاصة التي يدركها بعض الوسطاء ، ثم يترجمونها بدلالة ما يكون قد تمّ من أحداث ونشأ من آراء .

***

وقد رأينا من الأمثلة التي ضربناها أن الوسيط لا يمكن أن يستخلص كل معلوماته من السلعة نفسها ، وإن تكن هي العامل الأكبر في استخلاص المعلومات ، وإذاً فكأن الاستجابة إلى اهتزازات هذه الطاقات النوعية للسلعة تمكن الوسيط أيضاً من الاستجابة الى اهتزازات العامل الأكبر في ايجاد هذه الطاقات ألا وهو الشخص أو الأشخاص الذين لمسوا السلعة وبمجرد حدوث هذا الاتصال المباشر بهؤلاء ينتهي عمل السلعة .

« يتبع »

احمد فهمى ابو الخير

الدُّومِنْكِيُّون — Dominicans

Fratres Praedicatores (rendered in English Friars Preachers, Preaching brethren or Friars, Perdicants, or Order of Preachers).

احدى فرق الرهبان المستجدين أسسها القديس « دومنجو ده جوزمان » (Domingo de Guzman) في لانجدوك (Languedoc) بفرنسا وأجازها البابا في سنة ١٢١٦

ويؤخذ من الاسم الاصطلاحي ، ما يفيد معنى الرهبان الواعظين أو المبشرين . وكان الوعظ والتعليم الديني من أغراضها الرئيسية . وقد نشرها مؤسسها في ايطاليا واسبانيا ، ومن ثم انتشرت في الممالك الاخرى . وسموا في انجلترا « الرهبان السود » The Black Friars لانهم يلبسون معاطف سود ، وسموا في فرنسا اليعقوبيين ، نسبة الى كنيسة « سان جاك » ومستشفاه (Jacobus) وقد اتخذتهما هذه الفئة مقراً لها في باريس ، عند أول ظهورها فيها .

أما منهاجهم فقائم على خطة القديس أوغسطين وتنحصر في الفقر والتعفف والصوم والصمت ، ولكن ربما تخلوا عن الصوم والصمت ، اذا اعترضها القيام بالواجبات العملية .

أيستطاع تسيير
السيارات والطائرات بالطاقة الذرية

الأشعة الكهربية ووسائل الوقاية من أضرارها

يعتقد العلماء الآن ، انه لن يتيسر لامرىء ركوب سيارة أو طائرة تسير بالطاقة الذرية . وهم لا يدرون متى يتحقق هذا الحلم العلميّ ، هـذا إذا سهل تحقيقه يوماً ما . زاعمين أن الصعوبة القائمة الحائلة دون بلوغ هذه الأمنية ليست مالية بل وقائية لأن المهتمين كل الاهتمام بهذا الموضوع يذهبون الى انه سوف يأتي عهد في جيلنا الحالي ، يغدو فيه (جرق) عنصر الاورانيوم ، أقل نفقة من استهلاك الفحم الحجري وقوداً . ومصـدر الخطب هو أن أية كمية ضئيلة من الطاقة الذرية يتاح للمرء اقتناؤها ، تنبعث منهـا مقادير هائلة من الأشعة الخفية القتالة ، وهي مقذوفات كهربية تبيد الأنسجة الحيـة . وليس في وسع أية حاسة من الحواس البشرية ، الشعور بها أو التحذير من ضررها . وانما تحس بها آلات خاصة .

وإنما تستطاع الوقاية من أخطارها بوسيلة واحدة ، هي حصر المواد التي تنبعث منها هاتيك الأشعة ، في مبنى عريض الجدران ، متينها ، تكون حيطانه مؤلفة من أية مادة عازلة وأفضلها الماء والرصاص والأبرق المسلح « الخرسانة » فاذا شئنا مثلاً صنع محرك لسيارةٍ مّا قوامه الطاقة الذرية ، فلا بدّ لنا من إحاطته بحاجزٍ من الأبرق المسلح تتفاوت ثخـانته بين أربع أو ست اقدام . هذا إذا تيسر صنع هـذه الحواجز التي تبلغ زنتها زهاء مائة طن . وتجاه هـذه العقبة يتبين لنا إذن عقم محاولة صـنع سيارة أو طائرة ذرية للركاب على هذا النمط .

ومع ذلك فهذه الصعوبة لا تبلغ ذروتها إذا أريد صنع قاطرة أو باخرة ذرية من عابرات المحيطات ، إذ يمكن حينئذٍ تهيئة المصانع التي تولد البخار أو الـكهربا ، التي قوامها الحرارة

الذرية ، ثم اتخاذ الوسائل الواقية لعمالها وذلك في باطن حيطانها نفسها .

ولا غرو فان الأشعة القتالة التي تولدها المواد الشعاعة ، تؤلف من ذريرات دقيقة جداً من الطاقة الكهربية والمادة ، تنطلق بسرعة هائلة شذر مذر .

ومن هاتيك الأشعة ، النيوترونات ، وأشعة غمّا الثاقبة والمعتدلة ، ودقائق ألفا وأشعة رنتجن ، وكل من هذه جمعاء ، يتولد من طاقة إشعاع معينة فتحدث حروقاً غائرة في الجلد أشد مما يتولد من أشعة رنتجن أو من فرط التعرض لأشعة الراديوم مثلاً . وينجم عن فرط الاستهداف لها ، شلل النقي « مخ العظام » ومنع تجمد الدم ، وتناقص عدد الخلايا الدموية وهذه هي الظاهرة التي يطلق عليها الأطباء اسماً عاماً ، هو « التسمم بالأشعة السينية » ويقترن هذا التسمم بالحروق المشار اليها .

وقد يقضي مصدر الأشعة على الانسان في ثانية من الزمان . وربما يهلكه بعد انقضاء أعوام . وذلك يتوقف على مبلغ الدرجة التي يتعرّض فيها المرء لهاتيك الأشعة .

وليس المقصود من هذا القول إن أخف تعرض لها ، يقضي توّاً على المتعرض إذ أننا جميعاً نستهدف للأشعة الكونية التي تنبثق من رحاب الفضاء ، فتغمرنا طيلة العمر . وكذلك تحتوي الأرض والماء والهواء جميعاً ، على مقادير طفيفة من المواد الشعاعة . وتستعمل أيضاً أملاح الراديوم وغيرها من المواد الشعاعة في علاج الأدواء ، دون خطر على السقماء ، وذلك بالامعان في السيطرة على (الجرع) لكيلا تزيد على المقدار الناجع الذي ينفع المريض ولا يضره . أما المواد الخفيفة الاشعاع فتستعمل دون ضرر كعناصر مرشدة ، في مباحث التغذية الخاصة بحياة النباتات⁽¹⁾ .

وفي جامعة كلفورنيا حيث يستخدم العلاّمة الدكتور إرنست لورنس ومعاونوه من علماء الطبيعة جهاز تحطيم الذرة المسمى « سيكلوترون » ، ويبلغ ارتفاعه ٦٠ عقدة أصبع ، تتخذ احتياطات متقنة جداً اجتناباً للضرر الذي يتعرّضون له ، عن طريق الأشعة التي يولدها ذلك الجهاز .

---

(١) راجع مقالنا على الذرات المشعة ومنافعها الحيوية وذلك في مقتطف ديسمبر ١٩٤٣

وقد كان جهاز بركلي لتهشيم الذرة ، ذريعة خطيرة الشأن ، في المباحث التي أفضت الى اختراع القنبلة الذرية . ذلك أن العنصر الكوني الجديد المسمى بلوتونيوم plutonium قد تمّ تكشفه بمساعدة جهاز تحطيم الذرة ، وهو عنصر يتولد من الأورانيوم ٢٣٨ الذي كان معتبراً دائماً عادم الفائدة ، فأصبح عظيم النفع ، إذ هو يزيد الطاقة الذرية التي يمكن استخراجها من أية كمية من الأورانيوم الخام ، زهاء مائة مرّة .

والواقع انه عند ادارة جهاز تهشيم الذرة ، تتولد منه شعاعة نيوترون ، وذلك في الهدف الذي يصوّب اليه . وهذه الشعاعة تعدل أختها التي تتولد من مئات أرطال الراديوم النقي ، مخلوطة بعنصر البريليوم . فاذا شئت تقدير طاقة السيكلوترون ، تقديراً صائباً لا بدّ أن تعرف أن الجرام من الراديوم ، يجب أن يحفظ في خزانة من الرصاص ، تبلغ زنتها مئات الأرطال ، وقاية لكل من يقربها من الناس الذين يتعرّضون لتأثيرات أشعته الثاقبة .

ولهذا السبب يحاط جهاز تهشيم الذرة بحواجز مائية يبلغ عرضها خمس أقدام ، توضع في أحواض فولاذية كبيرة متنقلة . ثم تزاد هذه الوقاية المائية حتى تصل الى عشر أقدام ، يضاف اليها قدمان من الأبرق المسلح ، وذلك في الجانب الذي يقع تجاه الهدف مباشرةً .

ويتخذ الماء بدلاً من الرصاص ، أو الأبرق المسلح كوسيلة أساسية للوقاية من خطر الأشعة لأن الحياض يُتاح نقلها من الطريق عند ما تمسّ الحاجة الى احداث تغييرات كبرى في جهاز السيكلوترون .

أما الأشعة التي تصوّب تصويباً رأسيًّا ، فتمتصها المياه التي تخزن في أحواض تثبت بباطن السقف ، تسع أربع أقدام من الماء وتصنع من الأبرق المسلح .

وللتحقق من استحالة ولوج أي امرىء كان ، حجرة السيكلوترون ، في أثناء إدارته ، يوضع في الممرات الموصلة اليها ، رتاجات حاجزة ، يجب رفعها عندما تمس الحاجة الى ذلك واذا ما رفعت ابتغاء الدخول ، تحرك توًّا مفتاح كهربي فيقف سريان الطاقة الكهربية في مجراها .

ويكتسب السيكلوترون نفسه خاصية الاشعاع ، وذلك من استعماله لتحطيم الذرة فيجب اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمناعة المشرفين على ادارته ، حينما يراد احداث تغييرات أو ترميمات فيه . ومن أهم العوامل في هذه الحالة ، الابتعاد عنه ما أمكن .

وتستخدم لهذه الغاية في معظم الاشغال التي يحتاج اليها جهاز تحطيم الذرة ، مفكات ومفاتيح انكليزية ، يبلغ طول كل منها ثلاث أقدام . ولكن يحظر على أي عامل مباشرة عمله في الجهاز الاّ بعد أن يقيس مبلغ الاشعاع الذي ينبثق من جزئه السليم الذي سيجري فيه العمل المرغوب ولذلك يستعمل مقياساً يبين له هل تعرضه لمفعول الجهاز ، بضع ثوان ، أو بضع دقائق أو ساعة كاملة مثلاً يخلو من الضرر أو لا ؟

أما الأهداف التي تسدد اليها قذائف السيكلوترون ، وكذلك سائر المعدات التي تكتسب خاصية الاشعاع ، فهذه لا بدّ من إخفائها في مستودعات منفصلة بعضها عن بعض وذلك في خزانة رصاصية الحيطان . وكذلك أجزاء السيكلوترون التي تبلى منه بالاستعمال تطمر في الأرض في مطامر خاصة طمراً عميقاً ، تخلصاً من أخطارها .

ويقوم الاحتياط الأخير ، بارتداء كل عامل من عمال تحطيم الذرة ، فوق ملابسه المألوفة ، شارة تحتوي على شريط من شرط الأشعة السينية ، على أن يلبس هذه الشارة أسبوعاً كاملاً ثم يحمض هذا الشريط ، فيظهر فيه مبلغ الاشعاع الذي استهدف له العامل ، وذلك وفق درجة التعتيم التي تسجل في الشريط .

ويحمل كل عامل منهم أيضاً في جيبه وعاء يشبه قلماً رصاصياً غليظاً ، لتلقي الشحنات الكهربية الذرية الموجبة أو السلبية . والقصد من ذلك أن العامل إذا خالجه أي شك في مناعته خلال تأدية عمله قريباً من السيكلوترون ، خرج من فوره من حجرته ، وقاس مقدار الشحنات الكهربية التي استفرغت من الوعاء المشار اليه ، فيتأكد له ، أفي طوقه استئناف عمله يومئذٍ في تلك الحجرة الجهنمية دون خطر أم لا .

وفي مصانع هانفورد الهندسية الضخمة في مدينة ريتشلند باقليم واشنطون ، حيث تسخر الطاقة الذرية لصنع العنصر الجديد المسمى بلوتونيوم ، تتخذ أيضاً احتياطات أشد مما وصفنا آنفاً ، محافظةً على سلامة عمالها من أخطار تلك الأشعة القتالة.

وقد بذل المهندسون الذين قاموا بوضع رسوم المصانع السابقة الذكر قصارى جهدهم في إنشاء الوسائل الواقية للصناع ، لأن أولئك المهندسين جميعاً لم يسبق أن عهد اليهم في القيام بمثل تلك المهمة الشاذة . وما كان أيهم ليدري ماذا عسى أن يكون مبلغ عواقب

الاستهداف لمفعول الأشعة السالفة الذكر . ومن ثمة صار العمال على بكرة أبيهم لا يخشون هناك ضرراً على حياتهم ، ازاء ما اتخذ من العوامل البالغة لوقايتهم .

وتتوقف الوقاية على أمرين أساسيين ، أولهما الوسائل الطبيعية الواقية المتقنة التي من شأنها امتصاص الأشعة التي تولدها المواد الشعاعة . وثانيتهما الحواجز المضاعفة التي تحول دون وصول تأثيراتها الى العمال وما يكتنفهم في تلك الدائرة ، للوثوق من سلامتهم جميعاً .

ولذلك قدّر المطلعون جملة ما أنفق في ريتشلند ، بغية منع الضرر عن العمال ، بنحو خمسين مليوناً من الدولارات . أجل إن جانباً عظيماً من هذا المبلغ قد صرف في اقامة الحيطان الضخمة المبنية من الأبرق المسلح بحيث لا يخترقها الهواء وهذا إلى قيامها بوظيفتها البنائية أيضاً .

ثم إن المواد الشعاعة المدخرة في ريتشلند مغروسة في أحواض ضخمة تعلوها عدة أقدام من المياه . وهناك عربات سكة حديدية مخصصة لنقل المواد في أنحاء المصنع حيث أقيمت آلات رافعة للأثقال « ونشات » ترفع تلك المواد من العربات واليها . وبهذه الوسيلة يتاح التخلص من الحاجة الى العمال واجتناب شدة دنوهم من المنقولات .

وليس لذلك المصنع أبواب أو مداخل لدخول أية شعبة من شعبه التي تبلغ فيها الأشعة أوجها ، بل توجد هناك أجهزة ميكانيكية تقوم مقام العمال في أداء الأعمال التي على نمط واحد لا يتغير وذلك من مسافة بعيدة . ومنها بعض أشغال الصيانة التي يجب أداؤها في فترات معينة في بعض تلك المناطق الخطرة ، وهي الأشغال التي كانت تعمل عادةً بالأيدي .

ولذلك آثر مهندسو المصنع المشار اليه ، اختراع أجهزة ميكانيكية تستطيع الدوران حوله دون أن تتأثر بالأشعة الثاقبة جدًّا التي تصدر منه . فتقوم هذه الأجهزة بفك توصيلات الأنابيب وبنزع الأنابيب الأخرى وتركيب بدلها ثم تفك المسامير المحوّاة « البرمة » وتغير التراكيب الكهربية وتركب قطع غيار جديدة مما يقتضي التغيير في الجهاز .

وتحتوي الأجهزة الميكانيكية السالفة الذكر على آلات خاصة لرفع الأثقال ذات أذرع طويلة تصل عن طريق فجوات في حائط الأبرق المسلّح الثخين الى الاماكن المحيطة بتلك المنطقة التي يستحيل على أي انسان ولوجها . وهناك أيضاً آلات ومفاتيح انكليزية لربط أجزاء

الأجهزة وفكها ، تديرها الطاقة الكهربية وهي متصلة بطرف ذراع الونش أو بزناجيره .

ويحمل كل عامل في المصنع الريتشلندي مكشافين كهربيين « الـكتروسكوب » يشبهان قلم الجرافيت « الرصاص » وذلك في جيوب ثيابه قصد جعل كل مكشاف منهما مصححاً للآخر . وكذلك يفحص كل منهم فحصاً طبيًّا في فترات معينة ابتغاء التحقق من عدد خلاياه الدموية . وثمة احتياط هو الأخير من نوعه . ونعني به جرساً أوتوماتيكيًّا أي ذاتي الحركة ، يعلق فوق كل باب من أبواب خروج العمال من المصنع فيقرع قرعاً تحذيريًّا عندما يدنو منه أي عامل سرت في بدنه جرعات مفرطة من هاتيك الأشعة الوبيلة

ثم ان ملابس الكيميائيين القائمين بأعمال المعمل الكيميائي بالمصنع تقاس بعد لبسهم إياها وعقب غسلها أيضاً تحديداً لما تلوث به من آثار تلك الأشعة الوخيمة العواقب ، واتخاذاً للوسائل الواقية من الضرر المحقق . ولذلك القصد عينه يفحص الدخان الذي يتصاعد من مداخن المصنع للبحث عما قد يحويه من الغازات والمواد السامة ، كما تفحص أيضاً مياه الآبار والمجاري الصالحة للشرب القريبة من المصنع لتقدير ما عساه يلحقها من زيادة في خاصية إشعاعها الطبيعية . وتحتم هذه الأوصاف الخاصة بالاحتياطات الواجب مراعاتها عند الاشتغال بالطاقة الذرّية ، قصر المصانع المنوي تأسيسها فيما بعد لتوليد مثل تلك الطاقة الذرّية ، على الاجهزة الثابتة الكبيرة . ثم إن أمل العلماء ضعيف حاليًا سواء في انقاص حجم المواد العازلة التي تحاط بها هاتيك المصانع ، وفي خفض نقلها خفضاً بالغاً . وذلك لأن النيوترونات مثلاً لا بدّ من اصطدامها اصطداماً صحيحاً بأية مادة قبل وقوفها . وسبب هذا أن الدرع رصاصية كانت أو خرسانية اذا بلغت ثخانتها ربع عقدة أصبع ، لا تخلو من فجوات كثيرة كالمجموعة الشمسية . فإذا لم يكن ذلك الحائط أو الحاجز كثيفاً كثافة جسيمة لا يقوى على منع أذى الأشعة عن القريبين منها منعاً أكيداً . ولا جرم أنه لا يقصد من هذا القول ، نفي إمكان استخدام الطاقة الذرية في المستقبل استخداماً غير مباشر لتسيير السيارات الخفيفة . وكذلك يرى العلماء أن نقل الطاقة الكهربية لاسلكيًّا ، وهو الموضوع الذي طالما بحثوه ، ولما يظفروا بحله عمليًّا سيصير في حيز المستطاع حينما تنشأ المصانع الكبرى المركزية لتوليد الطاقة الذرية .

عوض جندى

استكشاف

المنطقة الايونية

استكشف علماء الطبيعة البريطانيون وبخاصة سير ادورد أبلتن ارتفاع وطبيعة الطبقات الجوية العليا التي ترد الامواج اللاسلكية وتعكسها ثانية نحو سطح الارض .

عند ما نقل « ماركوني » أول اشارة لاسلكية عبر المحيط الاطلنطي ، سنة ١٩٠١ ، ووجه علماء الطبيعة بمشكلة غامضة من مشاكل العلم الطبيعي عملوا على تبيانها . فقد كان معروفاً عندهم من تجارب سالفة ، أن الأمواج اللاسلكية تسير على نمط الأمواج الضوئية ، بمعنى انها تستمر في خطوط مستقيمة ما دامت مارّة في محيط خصّياته الكهربية ثابتة غير متغيرة . ولما كانت خصيات الهواء الكهربية هي خصيات الأجسام العازلة بنفسها ، لم يتضح لهم السبب في أنها تتخذ طريقاً منحنياً هو الطريق الضروري أن تسلكه تلك الأمواج من حول الأرض متبعة كرويّتها.

كانت ظاهرة الانكسار من الظاهرات الطبيعية المعروفة — ومحصلها أن شعاعة الضوء تنحني من حول شيء يعترض سيرها . وكان ما وصل اليه ماركوني في ذلك العصر من الممكن تعليله وفقاً لهذه الظاهرة . ولكن وقع بعد ذلك ما لم يكن في حسبان أحد من علماء الطبيعة. فان انحناء سطح الأرض بين « پولدو » Poldhu في كورنوال ونيوفوندلند يتخذ صورة جبل ارتفاعه ٢٠٠ ميل ، وهذا الانحناء عظيم حتى انه ليتعذر على الأمواج تخطيه . ولقد عكف لورد « راليه » وغيره من نابهي الرياضيين على هذا المشكل الطبيعي ، وانتهى جميعهم الى أن السبب غير راجع الى ظاهرة الانكسار . فان الاشارة اللاسلكية المتلقاة في نيوفوندلند قد كانت من القوة بحيث لا يمكن أن يكون سقوطها هنالك راجعاً الى قوة انكسار الامواج . فلا بدّ إذن من سبب آخر .

ولم ينتظر العلماء طويلاً . ففي سنة ١٩٠٢ وضع العالم الانجليزي أوليفر هڤيسيد نظريته

المشهورة في الطبقة الجوية التي فيها خصية التوصيل وهي طبقة تكون في الأجواء العليا. طبقة من طبيعتها أن تسلك مع الأمواج اللاسلكية سلوك لوح من المعدن، فتجعلها تُصَوِّب من مجالها العلوي وترتد ثانية نحو الأرض. وقد قوبلت هذه النظرية بكثير من الشك بالرغم من أنها عززت بنظرية قريبة منها قال بها العلامة دكتور كنّلي Dr. A. F. Kennelly. غير أن بحوث سير طومسون في طبيعة الذرات والأيونات قد دلت بعد ذلك بزمن وجيز على ان هواء الأجواء العليا يمكن أن يكون موصلاً للأمواج الكهربية وليس عازلاً، بسبب

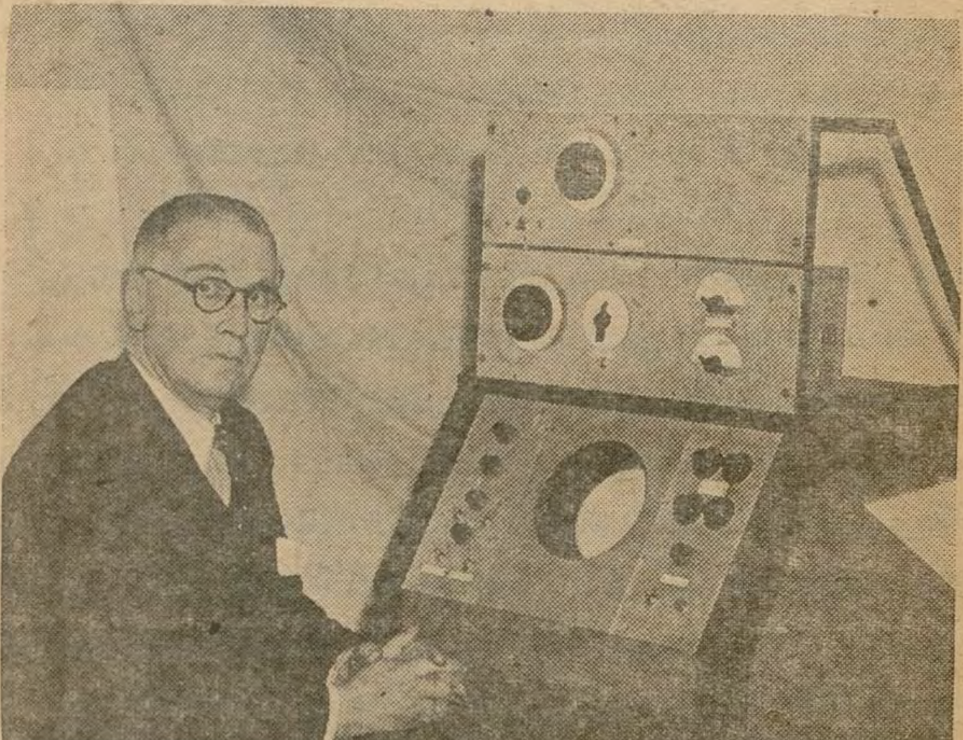

سير ادورد أبلتن

صاحب البحوث الطريفة في الأمواج اللاسلكية، ومنح لقب سير سنة ١٩٤١، وهو الآن رئيس «اتحاد البحوث اللاسلكية العلمية الدولي»، وسكرتير مصلحة البحوث العلمية والصناعية، ثم صار عضواً في لجنة الطاقة الذرية في اغسطس سنة ١٩٤٥

وجود كل العوامل لتكوين المحيط الموصل هنالك — وتلك العوامل هي وجود الجزيئات الهوائية والاشعاعات الفَوقبنفسجية القوية المنحدرة الينا من الشمس. والطاقة المنبعثة من هذه الاشعاعات قد تنصرف الى التأثير على جزيئات الهواء واطلاق إيوناتها وكهيرباتها، وبذلك تحوَّل طبيعة الهواء من عازل الى موصِّل. وبهذا التعليل قبلت النظريات، وسميت الطبقة المؤيِّنة(١) باسم اللَّذين تصوراها قبل اثباتها علميًّا، أي باسم كنِّلي وهفسيد(٢)

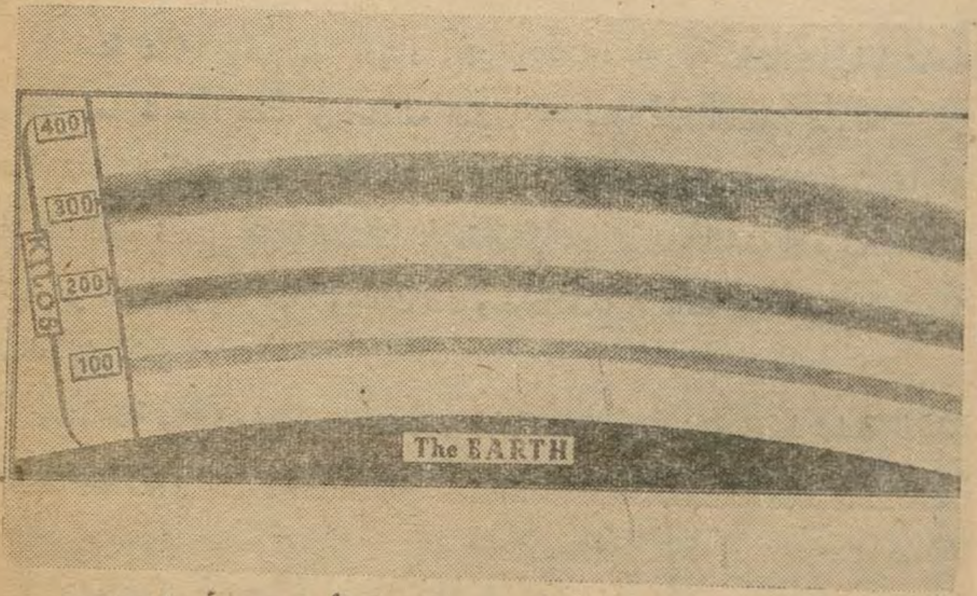

تمثل هذه الصورة المنطقة الأيونية وتسمى طبقة أپلتن وهي أهم الطبقات الجوية المؤثرة في ارسال الاشارات اللاسلكية البعيدة، لأن الأمواج القصيرة تمضي مخترقة طبقات الجو السفلى حتى تصطدم بالمنطقة الأيونية فترتد الى الأرض في النهار والليل على السواء على اختلاف في قوة الأمواج وفقاً للوقت

غير أن الدليل العلميّ على وجود هذه الطبقة كان يعوز علماء الطبيعة، وظلّ الأمر على ذلك عدداً من السنين، تجمّع خلالها من الأسباب والمعلومات ما جعل الوصول الى ذلك الدليل أمراً متوقعاً. فقد لوحظ مثلاً أن الاشارات اللاسلكية تضعف قوتها، إذا أرسلت في أثناء الليل والى مسافة ١٠٠ ميل وان قوتها وضعفها يتغيران بتغير الوقت الذي ترسل

---

(١) من أيون: أين يؤين: To ionise اشتقاقاً من المعرب (٢) طبقة كنلي وهفسيد

فيه . فكان من الطبيعي أن ينصرف تفكير العلماء الى أن ذلك إنما يعود الى تدخل الأمواج التي تمر في جو الارض ، وتلك التي تنحدر الينا من السماء .

ولكن هذا لا يقوم دليلا علميًّا على وجودها . ان هذا لهو استنتاج لا أكثر ، استنتاج لا يفسر طبيعة تلك الايونات المقول بها ولا يعرفنا مقياسها ولا كيفية توزعها في الطبقات العليا .

في سنة ١٩٢٤ برهن سير ادورد ابلتن Sir. E. Appleton عليها عمليًّا باستخدام موجات قصيرة جدًّا مثبتاً ان الطبقة العليا — وهي أعلا الطبقات الجوية — هي أهم الطبقات المؤثرة في إرسال الاشارات اللاسلكية البعيدة ، إذ دلت التجارب على أنَّ الموجات القصيرة تمضي مخترقة الطبقات الجوية السفلى حتى تصطدم بالطبقة الايونية فتصوَّب ثانية نحو الأرض وترتد اليها . وهنالك ثبت وجود الطبقة الايونية التي عُلل بها ما حيَّر العلماء أول الأمر .

ومنذ سنة ١٩٢٥ مضى العلماء يختبرون هذه الطبقة ويهيئون دراستها العلمية للاحاطة بجميع محتملاتها .

Divine Right — الحق الالهي

المذهب القائل بان الملك يتسلط على شعبه تسلط الاب على أولاده ، كما كان يفهمه القدماء (in loco parentis) وانه يستمد هذه السلطة من الله مباشرة ، لا من ارادة الشعب . وهذا المذهب ، الذي بلغ أشده في عصر أسرة « استيوارت » في بريطانيا ، قد فقد الآن كل ما كان له من أثر في السياسة .

The divine right of kings, independent of the wishes of the people, has been one of the most enduring and influential of superstitions, and it has been now not wholly vanished from the world. Lecky's European Morals. p. 285, vol. ii.

مرسلات مع الريح

أرستوقراطية الجهل

لا هو إلى الطول ، ولا هو إلى القصر ، أسمر اللون ، صغير العينين ، كبير الأنف ، واسع الشدقين ، بارز الذقن ، نحيل الجسد .

وخَطَ الشيب شعره فصار أشمط إلى زرقة ، أشبه بلون البحر علاه الزَّبَد .

أخلاقه مزيج من المتناقضات ، فلا هو رحيم ، ولا هو قاسٍ ، ولا هو كريم ولا هو شحيح ، ولا هو فاضل ولا هو رَذل ، ولا هو دنيء ولا هو عَفٌّ .

هو تركيب آدمي تحتكم فيه أعصابه ، فيلبس في كل حال ثوباً ، ولكل ظرف من ظروف الدنيا الصورة التي تلائم أعصابه المهدودة ، خبط عشواء وبغير مقدّمات من الفكر أو التأمّل . وهو إن تمازجت فيه هذه الصفات المتنافِرة ، فإنه لم يخلص من الدنيا بصفة تفرّدت بغير نقيض غير واحدة : هي الجهل .

جاهل صريح النسب إلى الجهل ، وافر المعرفة بأساليب الجهلاء ، ثابت القدم في تفهم طرق الأدعياء ، وكيف يخفون الجهل والدعوى بالعلم بمسالك من القول الفضفاض ، المائع ميوعة الرّمال الناعمة ، فيلذ لك حديثه ، حتى إذا تأملته لم تجده شيئاً .

غير أن هذا الإنسان في الجهلاء نسيج وحده . فليس في الدنيا معضلة من معضلات الأخلاق إلاَّ ولها عنده حل ، أو مشكلة من مشاكل الفلسفة والاجتماع إلاَّ وله فيها أفانين من القول .

فهو في ذلك فنَّان ، ولا نقصد بهذه الكلمة هنا معناها الحديث الذي جرى على أقلامنا في هذا الزمن ، بل نقصد بها معناها القديم الذي عرفه أبو الأسود ، والخليل بن احمد ، إذ دلت في معاجمنا على الحمَار ، له فنون من الجري .... ومن الشَّطَط بالضرورة .

هو مع الثقاة في كل فرع من فروع المعرفة ثقةٍ منهم ، وثبت من أثباتهم . فهو اقتصادي

واجتماعي وفيلسوف ومشرع وسياسي وعالم بالأصول والفروع وفقيه لغوي وأديب واسع الاطلاع ، إلى آخر ما هنالك مما تعدُّ من فروع المعرفة الانسانية .

يمضي مدَّعيًا أنه قرأ وأنه اطّلع وأنه جرّب وأنه ابتكر في العلم وشاد من بناء الأدب . وهو فوق هذا لئيم ، يدعي هذه الدعوى مستكبراً مصعّراً خده للعلماء ، مُسَفِّهاً لما يقولون ، ناسخاً لما يقرِّرون ، هادماً لما يبنون ، ضارباً في كل فنّ ومطلب ضرب الفنَّان . ولكن بالمعنى القديم .

هو جاهل ، ولكنه جاهل ارستوقراطي ، يرسل بجهالاته مزهوًّا بها ، واثقاً من أن تواضع العلماء ، لا يقوى لحظة على الوقوف أمام جبروته الكاذب . يقحم نفسه في محيط العلماء ، ويقذف بها في جوّ المجربين الثقات ، ويعاشر السياسيين ليقال هو سياسي ، ويماشي الصحفيين ليقال هو صحفي ، ويوثق صلاته بكل من امتاز في شيء من العقليات ليحشر في زمرتهم . ولكن من ورائه ابتسامات عريضة لها معناها .

له من الكباش غرور الكباش . وله من العصافير أحلام العصافير . إذا مشى دَقّ بقدميه ، وصعَّر خده للناس ، وحملق في الرائح والغادي ، وتفرّس في الحادي والبادي . فإذا مرّ بحسناء اختال وتمايل ، وإذا مرَّ بمنتدى للقوم تكبّر وتطاول . كأني به يحدس إن كل الحسناوات في أغْلال جماله ، وكل الرجال في أصفاد جاهه وماله .

صلة الرحم عنده أوهى من خيط العنكبوت ، وأدق من الصّراط : الذي هو أنحل من الشعرة ، وأحدُّ من السيف ، فكيف يجتاز ذلك الصّراط إلى ذوي رَحِمِه ؟ فان تخطاه فإلى غير ذوي الرَّحم .

مِسكين الذوق ، أفَّاكُ العقل ، فُقير الضمير ، ذليل الوجدان ، لا تقع محبته إلا على أفَّاكٍ مثله ، أو مفلوك يغدق عليه من بِرّه ، وينفق عليه من ماله تتصل به رُحَماه ، وتمتد بها إليه يمناه ويُسْرَاه ، وكلتاهما عن ذوي رحمه مقطوعة مبتوتة .

كل هذا لشيء واحد : هو أن يشترى به ثمناً قليلاً ! مديح مَن مديحه ذمٌّ وهجاء ، ومَن هجاؤه أعظم المديح وأغلى الثناء .

وعلم آدم الاسماء

تحت هذا العنوان قرأت في مقتطف يونيو سنة ١٩٤٥ الأغر رد الدكتور توفيق صادق سليط على مقالي الدكتور احمد زكي بك في الهلال في اللغات التي تصلح أو لا تصلح أن تكون واسطة تفاهم بين الشعوب جميعها .

أنا لم يسعدني الحظ بالاطلاع على مقالي الدكتور زكي بك ولكن يفهم من الرد المشار إليه بأنه يفضل اللغة الانكليزية على غيرها رغم صعوبتها الشاقة وشذوذها — ولا أقول الكثير إذ ما هي إلاّ شذوذ بشذوذ — ويدعو الى المناداة بها لغة عالمية . وله لتأييد دعوته هذه ولا شك حجج وبراهين .

فيعارضه الدكتور سليط ويسعى جهده لحمله على مبايعة اللغة التركية معدداً مناقبها وحسناتها دون أن يعثر أو يشاء أن يعثر بسيئة لها أو عورة .

وقد يتقدم غداً الكثيرون — أو قد تقدموا — وكل يدلل باللغة التي يمتلك زمامها ويتعشقها ويدعو الى تتويجها ملكة على كل اللغات كما أتقدم أنا الآن — ولي المام بسيط ببعض اللغات — لأقول :

البحث شائق جليل ومقاصد الدكتورين سامية نبيلة لشدة احتياج العالم الى لغة عامة يتفاهم بها . ولكن رغم هذا الجلال وهذا النبل وهذه الحاجة الماسة فلا أمل باتفاق العالم على الأخذ بلغة طبعت بطابع أمة ما وجعلها عالمية ولو كانت هذه اللغة من الفصاحة والبلاغة والسهولة والضبط في الذروة . ولذلك أسباب قد يحسبها البعض سخيفة واهية ويعدها البعض الآخر قيمة معقولة . ومثل ذلك مثل الجملة المترية على ما بينها وبين اللغة من البون الشاسع .

ألا تروا كيف أن بعض الامم تحجم وتترفع عن الأخذ بالجملة المترية هذه وهي على

ما هي عليه من الاتقان والابداع والسهولة ؟ ولماذا ؟ أترك الجواب لكل حسب استنتاجه وأسأل :

أفي الأخذ بها شر أو عار وهي تفوق غيرها من نوعها ؟ .

أمن خوف على الآخذين بها من التخلق بأخلاق موجديها ولا صبغة فلسفية تصبغها أو رائحة نظرية اجتماعية تنبعث منها ؟ إذ ما هي إلاّ أدوات جامدة باردة مبنية على حقائق علمية رياضية مشاع للجميع .

أما اللغة فهي خلاف ذلك إذ هي صورة الأمة التي تتكلمها وروحها الخفيف الظل أو ثقيله لأنها جبلة من أخلاقها ونسيج من شعورها وتحسسها . وهي مقياس رقيها وانحطاطها ومظهر من مظاهر سلطتها وسطوتها .

أيمكننا والحالة هذه أن نأمل إتفاق العالم على اتخاذ لغة أمة ما وجعلها عالمية ؟ .

أليس بذلك اعتراف صارخ بأنها أرقى وأفضل وأسهل وأوفى و . . و . . . من غيرها ؟

أليس بذلك الشيء الكثير من النفع والفضل للأمة التي تحسن على العالم بلغتها ؟

أليس بذلك جعل هذه الأمة مطمح الأنظار ولغوييها المرجع الأعلى — ولو الى أمد قصير — عند الاشكال فيما يتعلق بهذه اللغة ؟

أليس بذلك شيء من التخلق بأخلاق هذه الامة ولو كان أثره ضئيلاً ؟ .

***

قد يعترض أحدهم بأن ما هذا إلاّ وهم وغلوّ ويندد بالمكابرة والتعنت ويدعو الى نبذها وإلى الاقرار بالافضل ولو كان لعدوّنا . ويجهد نفسه كي يبرهن أن لا حاجة لنا بالاخذ بروح اللغة وآدابها بل بهيا كل كلماتها الباردة . وكل أمة تنفخ فيها من روحها فتنعشها وتحييها دون أن تغير من معانيها .

انها لنظرة قد يراها بعض الناس جميلة فيقرها ويراها البعض الآخر قبيحة فينبذها . وللناس في الناس نظرات وشؤون .

فالأقرب الى الصواب إذن والأسهل منالاً هو الأخذ بالاسبرنتو لأنها لم توسم بطابع وطني ما ولم تتخلق بأخلاق إحدى الأمم ولأنها سهلة لا شذوذ فيها ولا تعقد فيتبناها العالم

ويعطف عليها ويقدم لها اللغويون غذاءها من خير ما تفيض به أدمغتهم فتنمو وتزدهر وتغمر العالم بظلها الوارف .

وقد اعترض عليها الدكتور سليط في رده الذي أشرنا اليه بأنها قاصرة عن القيام بالغاية المنشودة ويحتاج صقلها الى مئات السنين . فأجيبه بأن قصورها هذا لهو من خير مؤهلاتها لتكون اللغة المطلوبة اذ تبتلع بشره وتهضم بسهولة كل ما يقدم اليها من الكلمات المنتقاة بنزاهة وعفة

ولا يحتاج الى الوقت الطويل — كما يتوهم البعض — في تجهيز هذه اللغة واعدادها لتكون كافية وافية بالغرض المطلوب اذا ما صفت نيات الدول وقامت قومية واحدة الى انشاء مؤسسة عامة يرسل اليها من جميع أنحاء العالم بأوسع اللغويين اطلاعاً وأقومهم أخلاقاً وأسماهم مقاصداً وأكثرهم حبًّا للسلام والتعاون . وليكن لدول المحور نصيبها في هذا العمل الخطير ليكون النفع أعم ، والغاية أسمى ، لا تشوبها شائبة حقد ، أو عداوة . لا ان يقوم بذلك بضعة من الرجال تعد على أصابع اليد الواحدة كما يفعلون أحياناً بمقدرات العالم .

وفي عملهم هذا من الغبن والاجحاف ما لا يعمى عنه ذو بصيرة وإن تعامت عنه — لأمر ما — دول الأرض قاطبةً . ويجب الحذر من السياسيين والدبلوماسيين والحيلولة بينهم وبين هذه المؤسسة اذا ماكان يرغب حقًّا في نجاحها .

وعلى هذه المؤسسة أن تختار أفضل الكلمات وأنسبها دون ما نظر الى وطن أو اقليم أو دولة تعضد هذه الكلمة أو تقاوم تلك .

***

واللغة مهما كان لها من فوائد وحسنات فهي غير كفيلة وحدها بمنع الحروب. والحروب كثيرة بين دول تتكلم لغة واحدة . إذن يجب على هذه المؤسسة أن يكون لها هدف ثان أسمى من اعداد لغة عالمية ألا وهو توحيد التعليم والثقافة بكتب واحدة وبلغة واحدة في جميع أنحاء المعمور لانشاء عقلية سليمة وان لم تكن واحدة لتعذر ذلك فعلى الأقل لتكون متشابهة متقاربة . واذا تشابهت العقليات السليمة تشابه التفكير السليم وشعر بضرورة التعاون ونبذ

الخصام وروّضت العقول على الاخلاق القويمة فيسهل سن دستور اقتصادي عالمي كفيل برفع مستوى المعيشة فالرفاهية فالسلام الحقيقي لا السلام المسلح القائم على رءوس الحراب وأفواه المدافع ، السلام المزيف الذي يقسم الانسانية فئتين فئة قاهرة وفئة مقهورة مكبلة . وبين الفئتين هوة عميقة من الحقد والبغضاء ، والويل للانسانية ، عندما تتفجر مراجل الحقد والبغضاء .

ويجب أن تمنع منعاً باتّاً تدريس تواريخ الحروب وفنونها على حالتها الحاضرة والاكتفاء باظهارها بمظهرها الحقيقي الوحشي علّ الاجيال المقبلة تربى على كره الحروب والابتعاد عنها وتسمو عن البؤرة التي تتسكع فيها الانسانية اليوم ، بؤرة الخداع والمراوغة وانتهاكها حرمات الشعوب الآمنة، والتستر وراء براقع صفيقة من العقود والمواثيق ، يقيد الضعيف بها، والقوي في حلٍّ منها، اذا لم يكن له في تنفيذها منافع ومآرب .

ويجب على جميع الدول أن تتقيد بصدق واخلاص بهذه التعاليم السامية والثقافة الموحدة وبالامتناع عن التعليم بلغاتها الخاصة فيما يتعارض مع ذلك .

وبينما ينتظر العالم بفارغ صبر من حكمائه ومصلحيه الاتفاق ، فللوصول الى هذه الضالة المنشودة أستحث قادة الرأي في البلدان العربية والمستعربة على انشاء مؤسسة تأخذ على عاتقها ، بالاتفاق مع وزارات معارفنا واقتصادنا توحيد الثقافة والاقتصاديات في شرقنا المتنابذ ، فنسير قدماً الى التعاون الحقيقي ، فالاتّحاد الاقتصادي والسياسي ونصهر في بوتقة واحدة ، فنؤلف كتلة واحدة صلبة ، تتحطم عليها أنياب تعمل الآن في نهشنا وتمزيقنا .

***

وعندما يتملص العالم — وهو سائر الى ذلك — من نير الدول المستعمرة وجشع أرباب معامل السلاح والدمار والرأسمالية المجرمة، يهون عليه القيام بهذا المشروع الجبار ، مشروع اقرار لغة عالمية واحدة ، وثقافة سليمة واحدة ، ويكون لنا كلمة قوية واحدة ، يدٌ طولى في ذلك، ورأي مسموع ، وسعي مشكور . والسلام

فيتوريانا — برازيل
جبريل صوايا

تراجم مشاهير

علمـاء الطبيعـة والنبـات

دو ڤريس Vries, Hugo de; : ولد بهارلم في ١٦ فبراير ١٨٤٨ وكان أستاذ النبات بجامعة أمستردام . أسس نظرية التحوُّل الفجائي على ملاحظاته لزهرة الربيع المنسوبة للامارك . واستكشف مظاهر المولدات (الهُجُن) في عالم النبـات وأحيا قوانين مندل الوراثيـة . ومؤلفاته هي « نظرية التحوُّل الفجائي » (١٩٠١ — ٣) و « الأنواع والأصناف » (١٩٠٦) وتربية النباتات » (١٩٠٨) .

ستراسبرجر (Strasburger, Eduard;) ولد بفارسوفيا في ١ فبراير ١٨٤٤ ومات في بُن في ١٩ مايو ١٩١٢ حيث كان أستاذ النبات بجامعتها . وهو عالم بتركيب النسج شهير وسَّع علم البنية الدقيـقة للخلايا ، وأوضح عمليـات الاخصاب في النباتات . ومؤلفاته هي « الصنوبريات والجنينيات » (١٨٧٢) و « الوعائيـة البزر والعريانة البزر » (١٨٧٩) و « تكوُّن الخلية وانقسامها » (١٨٨٠) و « عمليـة الاخصاب في ذوات الأزهار » (١٨٨٤) و « الـكتاب العملي الصغير في علم النبات » praktikum (١٩٠٢) و « كتاب علم النبات بمشاركة نول وشِمبر وكارستن » (١٩٠٤)

فيفر Pfeffer, Wilhelm; : ولد بجريبنشتين (هِـسِـن) في ٩ مارس ١٨٤٥ وكان أستاذ النبات بليبزيج وهو فيزيولوجي نباتي شهير كتب في الأخصـاب والتَّـناضُح والنَّـبْت وقبول الاثارة وحركات النبـاتات . ومؤلفاته هي : « الفيزيولوجيا النباتيـة » (١٨٨١) و « أبحاث المعهد النباتي في توبنجن » (١٨٨١ — ٨٨) .

كزابك (Czabeck, Friedr;) أستاذ علم النبات في پراج وأشهر مؤلف له « الـكيمياء الحيوية للنباتات » (١٩٠٥) .

كليكر (Kölliker, Rudolf Albert;) ولد بزيوريخ (سويسرة) في ٦ يولية ١٨١٧ وهو

عالم سويسري شهير في التشريح والفيزيولوجية وعلى الأخص في علم النسُج (الهستولوجية) كان أستاذ الفيزيولوجية في زيوريخ ١٨٤٥ وفي ڤرزبورج ١٨٤٧ ومن مؤلفاته: «التشريح المجهريّ» (١٨٥٠ — ٥٤)

مايَر (Meyer, Arthur;) : ولد في ٣ مارس ١٨٥٠ وكان أستاذ علم النبات في ماربورج وأشهر مؤلفاته «كتاب التحليل النوعي» (١٨٨٤) و «الاستعمال المكرسوبي» (١٩٠١)

مَجْنوس (Magnus Werner;) : ولد في ٢٢ ديسمبر ١٨٧٦ وكان أستاذ علم النبات بمدرسة الزراعة العليا في برلين وألف كتاب «الفيزيولوجيا النباتية» (١٩٠٠).

(**هَنْزن** Hansen, Adolf;) ولد بألتونا في ١٠ مايو ١٨٥١ وكان أستاذ النبات بجامعة جِيْسِن ومؤلفاته هي «الفيزيولوجيا النباتية» (١٨٩٠) و «علم الأقرباذين» (١٨٩٧) و «نبات جزائر فريزلند الشرقية» (١٩٠١) و «مذهب جُوته في تطور النباتات» (١٩٠٧) و «تنقيح علم تمييز العقاقير» (١٩٠٩) و «تنقيح علم النباتات» (١٩١٠)

محمود مصطفى الدمياطي

التوازن الدولي — Balance of Power

في القانون الدولي :

توزع أسباب القوة والدفاع في الامم التي يتكون منها نظام سياسي ، بحيث لا تصبح أمة ، سواء أكانت قائمة بنفسها أم منضمة الى غيرها ، في مركز يمكنها من أن تفرض ارادتها على غيرها من الامم ، أو تعتدي على استقلالها .

أما الخطة التي اتبعتها دول أوربا لتحقيق هذا الغرض فكانت مقاومة كل نظام سياسي ، يرمي الى استفحال قوة احدى الدول أو اضعاف أخرى الى حد يهدد السلام العام ، ففرضت الدول فيما بينها قيوداً لا تبيح لاحداها أن تعمل ما من شأنه أن يزيد قوتها ، فتهدد بذلك استقلال جاراتها ، أو تفتات على كيانهن القومي .

مكتبة المقتطف

المقامر

من وضع فيودور دستويفسكي وترجمة شكري محمد عياد ؛

مسكين دُستويفسكي ، عانى في حياته الصرَع والحكم عليه بالقتل وقاسى العذاب في ليمانات سيبيريا وأبهظته خيانة الزوجة له والخسارة في الميسر والرزوح تحت الديون ، واحتمل ذلك كله في جلد وصبر ، ولكن القدر دهاه بعد مماته برُزء لا قبل له ولا لنا باحتماله ذلك هو التشويه الفظيع الذي أصاب بعض آثاره في دار « الكاتب المصري »

يطالع المرء على غلاف هذه القصة أنها (تعريب شكري محمد عياد) والتعريب فيما نعلم هو التفوه بالاسم الأعجمي على منهاج العرب وتصييره عربيًّا فكلمة « ديمقراطية » مثلاً معربة عن الاغريقية ، أما المؤلفات الأجنبية فتترجم الى العربية . ولعلَّ المترجم إنما عدل عن كلمة الترجمة ليكون أميناً في وصف عمله الذي لم يتوخَّ فيه الأمانة .

أخذت أقرأ هذه القصة فأخذ يتولاني الضجر وظللت أضيق بها ذرعاً كلما مضيت في القراءة ، فما أكملت قراءة الفصل السادس حتى كنت قد خرجت عن الطوق والاحتمال فطويتها ، وبدا لي أني كنت غرًّا ساذجاً إذ قرأت هذه القصة من قديم بالألمانية فقرّ في نفسي الإعجاب بها موضوعاً وأسلوباً . أجل ، كنت أعلم أنها ليست في مصاف « الجريمة والعقاب » و « الأبله » و « الاخوة كارامازوف » وغيرها من آثار دستويفسكي الخالدة ، ولكني كنت أعلم أيضاً أنها لم تبلغ الغاية في التفاهة والغثاثة ، وأنها لا تحوي مثل هذه الجمل الركيكة التي طالعنا بها المعرب اللَّخلخانيّ ، فرجعت الى الترجمة الانجليزية بقلم السيدة

كونستانس جارنت (وقد أغفل المعرب اسمها شأن غيره من أدباء الكاتب المصري) فوجدتها تقع في نحو ٦٥ ألف كلمة على حين لا تتجاوز معرّبة الأستاذ ٤٥ ألفاً ، وإذن فقد رمى حضرته الى الأرض بثلث القصة ولكنه ، ويا للأسف ، رمى بالثلث الأحسن ولم يحتفظ من السمكة إلاّ برأسها وذيلها وهما لا غناء فيهما .

يقبس القارىء من الترجمة الدقيقة الأمينة القوية الأسلوب صوراً فنية وأخيلة رفيعة واستعارات فذّة وتشبيهات جميلة ، وبهذا الضرب من الترجمة ، الترجمة كما يفهمها الأوربيون، تمتلىء العربية حياة وفتوة وتزداد ثروة على ثروة . أما هذا « التعريب » الذي يجمع الى سوء فهم المعرّب وقلة أمانته ركاكة العبارة وشيوع الخطأ اللغوي ، فنحن نسائل حضرته ماهو الغرض منه ؟ لئن كان الغرض إطلاعنا على هيكل القصة لقد قامت بذلك من قبل « روايات الجيب » إذ أصدرت قصة « المقامر » هذه مطبوعة على مثل هذا الورق الرخيص وبمثل هذه الحروف الصغيرة وفي مثل هذا الأسلوب المهلهل فجاء الكتابان على غرار واحد لا فرق بينهما إلاّ أن الأول ثمنه قرشان والأخير ثمنه ثمانية عشر قرشاً

فأما الأخطاء اللغوية فنذكر بعض ما ورد منها في الصفحات الأولى وذلك على سبيل التمثيل لا الاستقصاء .

جاء في ص ١ نظر إليّ باستعلاء والصواب متعالياً أو في عنجهية
١٦ يمعن النظر » ينعم
١٨ تسمع احتجاجي » تأذن الى استنكاري
٢٥ الصدف » المصادفات
٣٩ رغم أنها » مع أنها
٤٤ راق لي » راقني
٤٦ اعتبرت نفسك مسئولاً » عددت نفسك

وأما الابعاد عن توخي الأمانة في النقل والتهرب من كل ما هو عسير في الترجمة وكل ما هو جميل في القصة فنضرب له مثلاً الأسطر التي اختتم بها الفصل الرابع ، وفيها يسفه المؤلف على لسان أحد رجال القصة من يدّخر المال ويرى انه خيرٌ للمرء أن يستمتع هو

نفسه بأمواله . ونحن ننقل هنا كلامه عن الترجمة الألمانية نقلاً أميناً قال :

« إنما أحب أن أثري من أجل نفسي . يجب أن يكون مالي لي لا أن أكون أنا له ، ولست أطيق مطلقاً أن أنظر الى نفسي على أنني تَجمع المال وشيء ثانوي الى جانبه ... إنني أعلم أني ألغو بهراء من القول وأني أخش في الغلو ، ليكن ذلك ولكني مقيم على رأيي .

فقال الجنرال وهو يفكر ملياً : لست أدري أفيما تقول حظ كبير من الصواب ولكني أعلم علم اليقين أنك تنزع الى الغلوّ والشطط حينما يسمح لك بعض الشيء أن تنسى نفسك . . . »

وما عتّم جنرالنا أن اقتضب حديثه على مألوف أمره ، فقد كان إذا أراد أن يقول شيئاً له بعض الخطر ، شيئاً يسمو قليلاً عن الأحاديث اليومية الدارجة تولته حُبسة فلم ينته الى الابانة عن آرائه » .

والترجمة للانجليزية لا تختلف عن الألمانية في كثير ، فانظر الى تعريب الأستاذ الفاضل لها ، قال :

« إني أريد النقود . إني أرى نفسي خيراً من رأس المال . . . قد أكون مخطئاً على كل حال ، لكن هذه هي معتقداتي .

فقال الجنرال مفكراً :

لست أدري حظك من الصواب أو الخطأ ، ولكن الذي أدريه أنك أصبحت مهرجاً كبيراً على قلة ما نسمح لك بنسيان . . .

ولم يتم كعادته » .

وهكذا عدا المعرب على عبارات المؤلف بالمسخ والتشويه والتفظيع وأسفّ بالقصة كلها فجاءنا برقعة مهلهلة لا تحكي الأصل في شيء ، ولم يقدم للقرّاء ما أعده لهم كاتب القصة من غذاء فكريّ بل قدّم لهم قيئاً وغِسْليناً .

ألا إن الذي يشتري قصة المقامر هذه لهو المقامر حقّاً ، وإنه لمقامر خاسر .

عصام الدين حفني ناصف

الشعر والشعراء

لابن قتيبة (٢١٣—٢٧٦ ه) حققه وشرحه حضرة الاستاذ احمد محمد شاكر . صدر منه الجزء الاول في ٥٣٠ صفحة من القطع الكبير عن دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه : ١٣٦٤ ه ١٩٤٦ م

كنت وما زلت من الداعين الى احياء الآداب القديمة ، ذلك بأني أعتقد اعتقاداً لا يوهنه الشك ولا ترقى اليه الريبة في أن الأدب الحديث اذا لم يستند الى أصول مأثورة فهو أدب مرقع لا انسجام فيه ولا أساس له . فوضع كتاب من المأثورات القديمة كالشعر والشعراء لابن قتيبة في يد طالبي الأدب والمتأدبين مما يفعمنا غبطة ويزيدنا رضى عن حركة الأدب في مصر خاصة والشرق عامة . وابن قتيبة من أدباء القرن الثالث الهجري ومن كبار النقاد ومن أهل عصر الفصاحة العربية . ولقد صوَّر في كتابه هذا فئة كبيرة من شعراء الجاهلية والاسلام ورسم لهم صوراً صحيحة بما اختار من أشعارهم وما انتقى من أحداث حياتهم في بعض المواضع . وعندي أن أعجب ما في هذا الكتاب حسن اختيار القطع الشعرية ، فانها اختيرت بلباقة وفن ، قد يرقى الى أقصى ما تصل اليه رفاهة الحس التي قد يرقى اليها مترجم عن حياة شعراء ، إذ يكفي أن تقرأ ما انتقى لهم لكي ترسم صورة من ذلك الشاعر تغنيك عن تلك الاستطرادات الطويلة التي يلجأ اليها الكتَّاب في هذا العصر ، واذا بها فارغة خواء.

خذ مثلاً قطعة مختارة للمثقب العبدي :

أفاطمُ قبل بينكِ متّعيني   ومنعُك ما سألتك أن تبيني
ولا تعِدي مواعيد كاذباتٍ   تمرُّ بها رياح الصيف دوني
فإني لو تعاندني شمالي   عنادَك وما وصلتُ بها يميني
إذاً لقطعتها ولقلت بيني   كذلك أجتوي من يجتويني
فإما أن تكون أخي بحقٍّ   فأعرف منك غثي من سميني
وإلاّ فاطّرحني واتخذني   عدوًّا أتقيك وتتقيني
فما أدري إذا يمَّمت[1] أرضاً   أريد الخير أيُّهما يليني
أألخير الذي أنا أبتغيه   أم الشر الذي هو يبتغيني

---

(١) يممت في الاصل ميمها الاولى عليها فتحة وهذا من الهنات المطبعية القليلة في الكتاب وفى ترجمة ابن الطثرية (سطر ٤) لا منقاذف (بالنون) وصحته لا متقاذف (بالتاء) وهذه هنات لا تكاد تذكر الى جانب ما بذل في هذه الطبعة من جهد عظيم يظهر واضحاً في جميع صفحاتها .

ومن الصور التي اختارها ابن قتيبة قطعة للبيد يرثي أخاه أربد : أولها ، بَلينا وما تبلى النجوم الطوالع : منها :

وما الناس إلاّ عاملان فعامل يتبرّ ما يبني ، وآخر رافعُ
فمنهم سعيدٌ آخذٌ بنصيبه ومنهم شقيٌّ بالمعيشة قانع
أليس ورائي ، إن تراخت منيتي ، لزوم العصا تحنى عليها الأصابع (١)
أخبّر أخبار القرون التي مضت أدبّ كأني كلما قمت راكع
فأصبحت مثل السيف اخلق جفنه تقادُم عهد القين والنصل قاطع
فلا تبعَدنَ ، إن المنيةَ موعدٌ علينا ، فَدَانٍ للطلوع وطالع
أعاذِلَ ما يدريك ، إلاّ تظنّيًا إذا رحل السُّفّار من هو راجع
أتجزعُ مما أحدث الدهر للفتى وأي كريم لم تصبه القوارع
لعمرُك ما تدري الضوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

هذا شيء من قوة هذا الكتاب ونزر مما أفرغ فيه مؤلفه من قوة الفن . أمّا محققه فقد أفرغ فيه جهد الصابرين مراجعة وبحثاً وتعليقاً ، وهمَّشه بأرقام الصفحات التي تقابل الطبعة الأوربية طلباً لفائدة الباحثين ، وتيسيراً لبحوثهم ، فله أجر ما كسب شكراناً ممن يعرفون قيمة ذلك الأدب . كتب الله للأدب العافية من فئة في هذا الزمان قلّت فيهم كفاية الأدب ، ونحن ولله الحمد من الصابرين .

أنيسة أو رواية اخوان العدل

١٥٢ صفحة — مطبعة الرهبانية المخلصية في صيدا — لبنان

هي رواية اقتبسها الأب العلامة جبرائيل أبو سعدى عن الفرنسية وتصرّف فيها تصرفاً يقتضيه سير حوادثها فبدّل وغيّر فيها أموراً منها بعض المشاهد التي رأى حذفها لأنها تعطل مجرى الكلام وزاد فيها غيرها يربط المعاني والحوادث ويبرز المغزى الأدبي بثوبه الكامل الفضفاض .

والرواية ترمي الى غاية نبيلة وتهدف الى تقوية الخلق العالي والشهامة والشرف في نفوس الفتيات حيث تظهر بطلتها وقد غزت قلب زعيم جبار فأحبها ولكنها لم تذعن لصرخات الهوى الذي يصاولها الاّ بعد أن توصلت الى قلب حياة محبوبها فجعلت منه عضواً نافعاً في المجتمع بعد أن كان أفاقاً عاتياً . والرواية مكتوبة بأسلوب أدبي رفيع فنحث القراء على مطالعتها .

---

(١) انظر هنا جمال الصورة وقوة التصوير .

فهرس الجزء الخامس

من المجلد الثامن بعد المائة

٢٧٣ آراء حديثة في نشوء الحضارات : اسماعيل مظهر
٢٧٩ نظام الأمومة
٢٨٠ الحرم الكنسي
٢٨١ الصيدلة عند قدماء المصريين : الدكتور حسن كمال
٢٨٩ الى الشعراء (قصيدتان) : شكسبير ونعمة قازان
٢٩٠ السيكومتري : احمد فهمي ابو الخير
٣٠٠ الدومنيكيون
٣٠١ أيستطاع تسيير السيارات والطائرات بالطاقة الذرية : عوض جندي
٣٠٧ استكشاف المنطقة الايونية
٣١٠ الحق الالهي
٣١١ ديمقراطية الجهل
٣١٣ وعلم آدم الاسماء : جبرائيل صوايا
٣١٧ تراجم مشاهير علماء النبات : محمود مصطفى الدمياطي بك
٣١٨ التوازن الدولي
٣١٩ مكتبة المقتطف * المقامر : نقد بقلم عصام الدين حفني ناصف . الشعر والشعراء . أنيسة او رواية اخوان العدل

لحق

١—٤٧ سبينوزا : حياته وفلسفته — بحث وتحليل : تأليف هنري سرويا — ترجمة سليم سعده .